سورة الحاقة - دراسة في ضوء التحليل الدلالي

المدرس المساعد
حامد عبد الرضا جبار
جامعة القادسية ـ كلية العلوم

المقدمة:

إنَّ خير العلوم وأشرفها العلمُ بكتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فهو كتاب الله المعجز الذي لا ينضب معينه مهما نهل منه الدارسون، والباحثون، وبلا شك أنَّ البحث في سوره وبيان مقاصدها، لهو أشرف عمل يُرجى من وراءه التقرب الى ربِّ العزة، بغية خدمة كتابه الكريم، ولذا فقد أكرمني الله تعالى في هذا البحث أن أدرسَ سورة من سور القرآن، وأطبق عليها موضوع بحثي الذي كان بعنوان (سورة الحاقة دراسة في ضوء التحليل الدلالي). و كان الدافع من وراء دراسة هذه السورة دلالياً، هو أنَّ علم الدلالة يُعدُّ من أهم فروع الدرس اللغوي الحديث؛ كونه يحلل النص الى عناصره الأساسية، ويعمد الى تفكيك شفراته ومحتواه، بغية الكشف عن المعنى الذي هو الوظيفة الرئيسة للغة.

وانطلاقا من هذا المبدأ وحسب مستويات اللغة فقد توزع محتوى هذه الدراسة على أربعة مباحث يتقدمها ملخصٌ للبحث، ثم المقدمة وهي ما نحن بصدده، تليها توطئة تبين أهمية السورة، وبيان عدد آياتها، وسبب تسميتها، فقد كان المبحث الأول عن الدلالة الصوتية، وقد بدأت بالمستوى الصوتي أولاً، كون الصوت يمثل أساس الكلمات غير المتناهية، وهو ما تنبني منه المستويات اللغوية الأخرى. ثم تلاه المبحث الثاني، وكان في الدلالة الصرفية للأسماء والأفعال، أما المبحث الثالث فقد تركز على دلالة أبرز التراكيب النحوية التي أوردتها السورة، ثم انتهت الدراسة عند المستوى الرابع، وكان في الدلالة المعجمية لبعض المفردات، والتعبيرات السياقية الواردة، ثم بعدها تمَّ التطرق الى أهم النتائج المستخلصة من هذه الدراسة.

أما بخصوص روافد هذا البحث فهي كثيرة، وقد شملت كتب التفسير، وكتب علوم

القرآن وإعجازه، وكتب اللغة، والتاريخ وغيرها. و قبل الختام لابد من القول: إنّي بفضل الله تعالى قد استطعت في هذا البحث أن أعرض لقضايا لغوية ودلالية كثيرة لها أهميتها، وقيمتها السامية، ولكن يبقى الشعور الذي خلصت إليه في نهاية هذه الدراسة، هو الإقرار الكامل بالإعجاز القرآني، وبالعجز البشري عن إدراك أسرار هذا الإعجاز، إذ هو إعجاز رباني كلما واصل الدارسون الغوص في غماره يجدونه أعمق، فتبقى أقلامهم لا تحيطه علماً.

وفي الختام أسألُ الله العفو والمغفرة، إن نسيت أو أخطأت في هذا البحث. أو تكلمت بغير حق.

توطئة:

(الحاقة): المراد بها القيامة، والبعث؛ لأنَّها تحقُّ لكلِّ عاملٍ عمله، وسُميت بذلك لأنَّ الأمر يحق فيها، والحاقة اسم فاعل من حق الشيء إذا ثبت ولم يشك في صحته. فالقيامة حاقة لأنها تحقق كل محاق في دين الله بالباطل، أي كل مخاصم فتغلبه[١].

وهذه السورة هي من السور المكية بالاتفاق، وعدد آياتها إحدى وخمسون آية في عدِّ البصرة والشام، واثنتان وخمسون آية في عدِّ الباقين، وكلماتها مائتان وخمس وخمسون كلمة، وحروفها ألف وأربعمائة وثمانون حرفاً، ولها اسمان: الأول (سورة الحاقة)، وذلك لوقوع هذه الكلمة في أولها، ولم تقع في غيرها من سور القرآن، والثاني هو (سورة السلسلة) لورود لفظ السلسلة في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ (الحاقة /٣٢)[٢].

وترتيبها هو التاسع والستون في ترتيب سور القرآن، وكان نزولها بعد سورة (ن والقلم)؛ لأنَّ بينهما مناسبة في الموضوع، حيث كانت هذه السورة بمثابة وعيد لمشركي قريش الذين جاءت سورة (ن والقلم) تقرعهم، وتوبخهم، وهذا ما ذكره الثقفي بقوله: (لما بُنيت سورة (ن والقلم) على تقريع مشركي قريش وسائر العرب، وتوبيخهم، وتنزيه نبي الله ﷺ عن شنيع تقولهم وقبيح بهتهم، وبيَّن حسدهم، وعداوتهم: ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ﴾ (القلم/٥١)، أُتبعت بسورة الحاقة وعيداً لهم، وبياناً أنَّ حالهم في سوء ذلك المرتكب قد سبق إليه غيرهم)[٣].

أما عن غرضها (مقصدها)، فهي كغيرها من السور القرآنية قد اشتملت على مقاصدَ عدةٍ، نذكر منها: تهويل يوم القيامة، وتهديد المكذبين بوقوعه، وتذكيرهم بما حلَّ بالأمم التي كذبت به من عذاب في الدنيا ثم عذاب الاخرة، كما شملت أيضاً وصف أهوالٍ مختلفة من يوم الحساب، وتفاوت الناس يومئذٍ فيه عند قراءة الكتب، ووصف فظاعة حال العقاب على الكفر، وعلى نبذ شريعة الإسلام، والتنويه بالقرآن، كما صرحت بتنزيه الرسول ﷺ عن أن يكون غير رسول، وأنَّه لم يتقول على الله تعالى، وكان آخرها إنذار المشركين بتحقيق الوعيد الذي ورد في القرآن(٤).

المبحث الأول

الدلالة الصوتية

تُعدّ تسمية (الدلالة الصوتية) من تسميات الدرس اللغوي الحديث، فمن تُراث علمائنا القدماء حدَّ المحدثون هذا المصطلح، وأطلقوا عليه تسمية (الدلالة الصوتية)، وعرّفوها بقولهم: هي الدلالةُ التي تُستمد من طبيعة الأصوات نغمها وجرسها(٥).

ومن هنا نجد أنَّ هذه الدلالة (تتحقق في نطاق تأليف مجموع أصوات الكلمة المفردة، وتسمى بالعناصر الصوتية الرئيسة، وتتحقق كذلك من مجموع تأليف كلمات الجملة وطريقة أدائها الصوتي ومظاهر هذا الأداء، وتسمى بالعناصر الصوتية الثانوية، وتعدُّ هذه العناصر أكثر إسهاماً في الدلالة من العناصر الصوتية التي تصاحب الكلمة المفردة)(٦).

ومما لا شك فيه أنَّ أصوات العربية هي ذات وظيفة دلالية، حيث إنَّ (لكل صوت في بنية كلماتها وظيفة في تكوين المعنى، وتثبيت أصله، وتنويع شكله وألوانه، مما يولد توافقا بين الصورة اللفظية والصورة المعنوية المقصودة)(٧).

ومن الجدير بالذكر أنَّ الدلالة الصوتية قد تحققت في أكمل أشكالها، وأجمل صورها، وأجلى مظاهرها في كتاب الله العزيز؛ فهي (تشكلُ في القرآن الوقع الخاص المتجلي بكلمات مختارة، تكونت من حروف مختارة، فشكلت أصواتاً مختارة، هذه السمات في القرآن بارزة الصيغ في مئات التراكيب الصوتية في مظاهر شتى، ومجالات عديدة، تستوعبها جمهرة هائلة من ألفاظه في ظلالٍ مكثفة في الجرس والنغم والصدى والايقاع)(٨). ولهذا يمكن القول: إنَّ

كل ما ورد في القرآن الكريم كان متجاوباً مع معطيات الدلالة الصوتية، تلك الدلالة التي توحي بأثرٍ موسيقي خاص يستنبط من ضم الحروف بعضها لبعض، فيعطي مدلولا متميزاً في مجالات عدة منها: الألم والبهجة واليأس والرجاء والرغبة والرهبة والوعد والوعيد وغيرها[٩].

وإنَّ سورة الحاقة المباركة كغيرها من السور نجدها مشحونة بفيضٍ من تلك الكلمات المختارة ذات الأصوات المختارة التي توحي بتلك المدلولات المتميزة، نبينها في المطالب الآتية:

المطلب الأول

أثر البناء المقطعي للفواصل في الدلالة

بدءاً يُعرَّف المقطع لغة: بأنه من القطع، والقطع هو إبانة بعض الشيء عن بعض، يقال قطعه يقطعه قطعاً وقطيعة وقطوعاً، ومقطعُ كل شيء: آخره حيث ينقطع كمقاطع الرمال والأودية وما أشبهها [١٠].

أما في الاصطلاح: فقد اُختلف فيه كثيراً، فهو كما يعرفه المحدثون بقولهم: هو (تتابع من الأصوات الكلامية له حد أعلى أو قمة طبيعية تقع بين مدين أدنيين من الأسماع)[١١]، أو هو: (كمية من الأصوات تحتوي على حركة واحدة، ويمكن الابتداء بها والوقوف عليها من وجهة نظر اللغة)[١٢]، أو هو: (مزيج من صامت وحركة يتفق مع طريقة اللغة في تأليف بنيتها، ويعتمد على الايقاع التنفسي)[١٣].

إلا أنَّ الدكتور حسام سعيد النعيمي قد وضع تقييداً واضحاً لمعنى المقطع بقوله: (وحدة صوتية تبدأ بصامت يتبعه صائت وتنتهي قبل أول صامت يرد متبوعاً بصائت أو حيث تنتهي السلسلة المنطوقة قبل مجيء القيد)[١٤].

ومن هنا يمكن القول عن تعريف الدكتور النعيمي للمقطع بأنَّه تعريفٌ جامعٌ مانعٌ، ويُعدُّ من أكثر التعاريف تقييداً لمعنى المقطع. ثم أنَّ انواع المقاطع في العربية قد تجسدت في خمسة مقاطع، هي[١٥]:

١- المقطع القصير: ويتكون من صامت يتبعه صائت، ورمزه (ص ح) نحو كلمة (كَتَبَ).

٢- المقطع الطويل المفتوح: ويتكون من صامت يتبعه صائت طويل، ورمزه (ص ح ح) نحو كلمة (ما).

٣- المقطع الطويل المغلق: ويتكون من صامتين بينهما صائت قصير، ورمزه (ص ح ص) نحو كلمة (مِنْ).

٤- المقطع المديد احادي الاقفال: ويتكون من صامتين بينهما صائت طويل، ورمزه (ص ح ح ص) نحو كلمة (قَامْ) عند الوقف.

٥- المقطع المديد مزدوج الاقفال: ويتكون من صائت قصير قبله صامت وبعده صامتان، ورمزه (ص ح ص ص) وذلك نحو كلمة (نَهْرْ) عند الوقف.

وبعد هذا العرض من تعريف المقطع وبيان أنواعه، نستعرض فواصل سورة الحاقة، وذلك بتحليلها مقطعيا، لبيان ما لها من أثر دلالي مهم، كونها تشكل جزءاً من معنى السورة، وذلك من خلال الآتي:

١- الحاقة: وقد تكررت في ثلاثة مواضع متوالية، وهي الآيات (١، ٢، ٣)، وهي مكونة من ثلاثة مقاطع، هي: ص ح ص / ص ح ح ص / ص ح ص.

٢- القارعة، الطاغية، الخاطئة، الجارية، الواقعة، الخالية، القاضية: وتتكون هذه الصيغ من أربعة مقاطع وهي: ص ح ص / ص ح ح / ص ح / ص ح ص.

٣- عاتية، خاوية، باقية، رابية، واعية، واحدة (وردت مرتين)، واهية، خافية، راضية، عالية، دانية: وتتكون هذه الصيغ من ثلاثة مقاطع، هي: ص ح ح / ص ح / ص ح ص.

٤- ثمانية، كتابيه (وردت مرتين)، حسابيه (وردت مرتين): وتتكون هذه الصيغ من أربعة مقاطع، هي: ص ح / ص ح ح / ص ح / ص ح ص.

٥- العظيم (مكررة)، اليمين، الوتين، اليقين، متَّقين: وتتكون هذه الصيغ من ثلاثة مقاطع، هي: ص ح ص / ص ح / ص ح ح ص.

٦- الخاطئون، الكافرون، العالمين: وتتكون هذه الصيغ من أربعة مقاطع، هي: ص ح ص / ص ح ح / ص ح / ص ح ح ص.

٧- تبصرون (مكررة)، تؤمنون: وتتكونان من ثلاثة مقاطع هي: ص ح ص/ ص ح/ ص ح ح ص.

ومن خلال هذا التحليل المقطعي لفواصل سورة الحاقة نجد أنَّ هناك مناسبة لطيفة بين مقاطع تلك الفواصل، فالملاحظ هنا أنَّ المقطع الاكثر وروداً في جميع هذه الفواصل هو المقطع الطويل، سواء أكان مغلقاً أم مفتوحاً، ثم يليه المقطع القصير المفتوح، حيث إنَّ جميع هذه الفواصل تبدأ بالمقطع الطويل المغلق، وتنتهي كذلك بالمقطع الطويل المغلق، أو المديد المغلق، ويتوسطها المقطع القصير المفتوح، ما عدا فواصل الفقرة (٤) فهي تبدأ بالمقطع القصير المفتوح، كونها جاءت مجردة من (ال) التعريف، كما يُلاحظ على هذه الفواصل أيضاً تقاربها في أعداد المقاطع، فجميع تلك الفواصل قد تراوحت مقاطعها ما بين (٣ - ٤) مقاطع لكل فاصلة.

ومن هنا لا بد لنا أن نسأل عن سبب مجيء هذا العدد غير القليل من تلك الفواصل ذات المقاطع الطويلة، وعن مدى حصول تناسب البناء المقطعي بينها؟.

إنَّ الاجابةَ على هذا التساؤل إنما تتعلق بجو السورة العام، كون هذه السورة هي من السور المكية، وقد جاءت تتحدى الكفرة، ولذلك فقد امتازت بجوٍ رهيب مشحونٍ بالأحداث الرهيبة العظيمة، فهو جو جدٍ وحسمٍ، كما أنَّه جو هولٍ، وروعٍ، وفزع يوقع في النفس شعوراً رهيباً حازماً، قال سيد قطب: (هذه سورة هائلة رهيبة؛ قل أن يتلقاها الحس إلا بهزة عميقة، وهي منذ افتتاحها إلى ختامها تقرع هذا الحس، وتطالعه بالهول القاصم، والجد الصارم، والمشهد تلو المشهد، كله إيقاع ملح على الحس، بالهول آناً وبالجلال آناً، وبالعذاب آناً، وبالحركة القوية في كل آن)[١٦]، فهي تتسلسل بسرد مجموعة من الأحداث العظيمة ابتداءً بوصفها ليوم القيامة بلفظ (الحاقة)، تلك الكلمة التي يصف روعتها سيد قطب بقوله: (وهي بلفظها وجرسها ومعناها تُلقي في الحس معنى الجد والصرامة والحق والاستقرار، وإيقاع اللفظ بحد ذاته أشبه شيء برفع الثقل طويلا ثم استقراره استقراراً مكيناً، رفعه في مدة الحاء بالألف وجده في تشديد القاف بعدها واستقراره بالانتهاء بالتاء المربوطة التي تُنطق ساكنة)[١٧]، ثم تمر بعرض تكذيب قوم عاد وثمود بذلك اليوم الموصوف بالقارعة، الى تعذيبهم والانتقام منهم بالطاغية، ثم وصف انشقاق السماء فإذا هي واهية،

الى دك الأرض والجبال دكة واحدة، الى حصول يوم الحساب وتوزيع الكتب فيه على بني البشر، وتمني الخاسر فيه الموتة القاضية، الى أن تُختم بنفي التهم عن الرسول ﷺ، وإثبات أحقية القرآن الكريم.

وفي الحقيقة أنَّ اسلوبها الوصفي لتلك المشاهد العظيمة إنما يشع بأروع المعاني الجليلة، وبما أنَّ الفاصلة هي خاتمة الآية، فلاريب أنَّ عظمة تلك المعاني ورتابتها لا يناسبها سوى الفواصل ذات المقاطع الطويلة، لأنها تكون ذات جرس موسيقي عالٍ (يحاكي عظمة المشاهد) مما جعله يجلب معه أثراً معنوياً بالغاً الى نفس المتلقي، فيساعده على تنبيه المشاعر والأحاسيس الإنسانية فيه، يقول الدكتور محمود عكاشة: (يؤدي طول المقطع الى التأثير في المتلقي، ويتحقق هذا في أصوات اللين (الالف والواو والياء)؛ لأنها أوضح في السمع وأكثر تأثيراً في النفوس من الأصوات الساكنة)[١٨].

ومن هنا نجد أنَّ هذا التوزيع المقطعي الذي بنيت عليه فواصل هذه السورة والذي لاحظناه في تحليلها مقطعيا، قد عمل على تحقيق نوع من التلوين الصوتي، والتآلف الموسيقي الذي قد وُظِّفَ لخدمة تلك المشاهد العظيمة المعروضة في السورة، كما أنَّها كانت بمثابة مؤثرات صوتية تربط الصوت بالصورة أو المشهد، أو معنى الآية الكريمة.

كما أنَّ المد الحاصل من أصوات اللين (الالف، والواو، والياء) والذي يعرف بمد الطول نجده قد توظف في جميع فواصل السورة، وذلك لمناسبته دلالة العظمة والهول والروع التي امتازت بها مضامين السورة.

المطلب الثاني

التنغيم

التنغيم في اللغة: هو جرسُ الكلمة، وحُسْنِ الصوت في القراءة، وغيرها، والنغمُ: هو الكلام الخفي، والنغمةُ: الكلامُ الحسن[١٩].

أمّا في الاصطلاح: فهو (المصطلح الصوتي الدالُّ على الارتفاع (الصعود)، والانخفاض (الهبوط) في درجة الجهر في الكلام)[٢٠]، أي أنَّه ارتفاع الصوت وانخفاضه في اثناء الكلام، وقد سُمّي بمسمّياتٍ أخرى مثل (موسيقى الكلام)[٢١]، و(التلوين الموسيقي)[٢٢].

فالتنغيمُ: هو تغيراتٌ موسيقية تنتابُ الصوت من صعود إلى هبوط، أو بالعكس وذلك حسب المشاعر التي تنتاب الانسان من فرحٍ، أو حزن، ويأسٍ أو أمل، وإعجابٍ أو استفهام، أو غير ذلك[٢٣].

ولم تكن هذه التغيرات في درجة الصوت إلا لأجل التفريق بين المعاني المختلفة للجمل، فالنغمة في الجملة الاستفهامية مثلا تختلف عن النغمة في الجملة الخبرية، وهي في الجملة المنفية مختلفة عنها في المثبتة وهكذا[٢٤]، فالنغمة هي العنصر الوحيد الذي تسبب عنه تباين معاني هذه الجمل، ذلك بأنَّ هذه الجمل لم تتعرض لتغيير في بنيتها، ولم يتغيّر فيها إلاّ التنغيم، وما قد يصاحبه من تعبيرات الملامح، وأعضاء الجسم مما يُعدُّ من القرائن الحالية[٢٥]، فمثلا جملة (حضر محمدٌ) تصلح لئن تقال بنغمات متعددة، ووفقاً لهذا التعدد يتغير معناها، فتكون (استفهاما إذا نُطقت بنغمة صاعدة من أسفل إلى أعلى، وتكون خبرية إذا نُطقت بنغمة مستوية، وتوكيدية إذا نُطقت بنغمة صاعدة هابطة، وترتيب الكلمات في الجملة الاولى والثانية والثالثة واحد، والفرق هو طريقة نطق كل جملة)[٢٦]. وعليه فمستويات التنغيم حسبما قسمها بعض اللغويين المحدثين[٢٧] تنحصر في ثلاثة أنواع هي:

١- الصاعدة: وتتمثل في اسلوب الاستفهام، والأمر، والنهي المحض، والتعجب، والإهانة.

٢- المستوية: وتتمثل في اسلوب الخبر، والتقرير، والنداء المحض.

٣- الهابطة: وتتمثل في اسلوب التمني، والتهكم، وإظهار الاسف والحزن.

أما بالنسبة لسورة الحاقة المباركة فهي لا تخلو من مصاديق التنغيم، إذ حصلت دلالات عدة من خلال اسلوب التنغيم، ويمكن ملاحظة ذلك في الآتي:

١- خروج الاستفهام إلى دلالة التعظيم والتفخيم والتهويل:

ومثال ذلك قوله تعالى: (الحَاقّةُ، مَا الحَاقّةُ) الآيتان (١، ٢).

إنَّ أسلوب الاستفهام في هذه الآية وحسبما ذكره جمهور المفسرين يفيد معنى تعظيم وتفخيم الحاقة، قال أبو حيان الاندلسي: (وما استفهام لا يراد حقيقته بل التعظيم، وأكثر ما يربط بتكرار المبتدأ إذا أريد، يعني التعظيم والتهويل)[٢٨].

وعليه فقد خرج اسلوب الاستفهام هنا من معناه الحقيقي إلى معنى آخر ألا وهو التعظيم والتفخيم، ذلك أنَّ حقيقة الاستفهام هو (طلب فهم الشيء)، وهو ما دارت حوله تعريفات البلاغيين، قال عبد القاهر الجرجاني: (الاستفهام، استخبار والاستخبار هو طلب من المخاطب أن يخبرك)[٢٩]، وقال العلوي في حدِّه أيضاً هو: (طلب المراد من الغير على جهة الاستعلام)[٣٠]. ولذلك فكل ما خرج عن معنى (الاستخبار والاستعلام) فهو استفهام غير حقيقي كأن يُراد بالاستفهام معنى (التعظيم، والتفخيم، أو التوبيخ، أو التهكم، أو التعجب، أو النفي) أو غير ذلك. ويمكن التفريق بين تلك المعاني جميعاً من خلال التنغيم، ذلك أنَّ لكل معنى منها درجة من التنغيم خاصة به، فإنَّ درجة الصوت في نغمة الاستفهام عادة ما تكون صاعدة ثم تهبط بالتدريج حتى تصل إلى أدنى مستوى لها وهي الهابطة[٣١]، ثم تتغير هذه الدرجة النغمية عند خروج الاستفهام عن معناه الحقيقي الى معانٍ أخر[٣٢].

ومن هنا فخروج الاستفهام في هذه الآية عن حقيقته إلى الدلالة على عظمة أهوال وأحوال يوم القيامة وتفخيمها، قد تطلب استصحابه نغمة صاعدة مديدة مدوية في لفظة (الحاقة) كي توحي بتلك المعاني الجليلة حتى تثير الرهبة والخشية في المتلقي، و مما زاد من هيمنة وضوح درجة تلك النغمة الصارخة هو وجود مد الالف اللينة في (الحاقة)، ذلك المد الذي نجده مناسبا لإيقاع هذه السورة المباركة، فهو ايقاع يمتاز بالرهبة كما وصفه سيد قطب بقوله: (هذه سورة هائلة رهيبة؛ قلَّ أن يتلقاها الحس إلا بهزة عميقة)[٣٣] وهو ما أوردناه سابقا.

فضلا عن ذلك إنَّ مجيء دلالة الاستفهام هنا على التعظيم والتفخيم قد ارتبط أيضاً بتكرار لفظ المبتدأ السابق، نحو قولنا: (زيدٌ، ما زيدٌ)، جاء في كتاب الخصائص لابن جني (ت ٣٩٢): (إنما يُعاد لفظ الأول في مواضع التعظيم والتفخيم)[٣٤]، وقال الشوكاني في تفسيره لهذه الآية: (والاستفهام للتعظيم والتفخيم، وتكرير المبتدأ هنا بلفظه مغنٍ عن الضمير الرّابط، كما في قوله: ﴿الْحَاقَّةُ(١)مَا الْحَاقَّةُ﴾ (الحاقة:١،٢) و﴿الْقَارِعَةُ*مَا الْقَارِعَةُ﴾ (القارعة: ١،٢)، (ولا يجوز مثل هذا إلاّ في مواضع التفخيم، والتعظيم)[٣٥]. ومن هنا يمكننا القول: إنَّ نغمة تركيب (زيد ما زيدٌ) هي غير النغمة الحاصلة في قولنا: (ما زيد)، ذلك أنَّ في عبارة (ما زيد) يكون المتكلم خالي الذهن، فيستفهم لأجل الاستعلام عن ماهية زيد

فقط، فتكون النغمة هنا صاعدة ثم سرعان ما تهبط، أما في عبارة (زيدٌ ما زيدٌ) فإنَّ المتكلم لاشك أنَّه يكون عالما بماهية (زيد) مسبقاً، إلا أنَّه يستفهم عنه لأجل إضفاء صفة العظمة عليه، ليبينَ أنَّ (زيداً) شخصٌ ذو شرف وعظمة، وهذه العبارة تحتاج الى نغمة صاعدة أيضاً ولكنها تكون مديدة، بعبار أدق تكون أطول زمناً من النغمة الكلامية في عبارة (ما زيد).

وهذا الكلام يصدق تماماً على ما أوردناه في الآية الكريمة في قوله تعالى: (الحاقة ما الحاقة) لبيان معنى العظمة والتفخيم والتهويل في لفظة الحاقة، ويتضح الفرق بين النغمتين من خلال المخطط الآتي:

في عبارة (ما الحاقة) 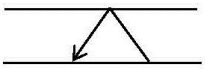 تكون النغمة الصاعدة أقصر زمنا .

أما في عبارة (الحاقة ، ما الحاقة) 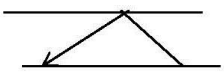 فالنغمة الصاعدة تكون أطول زمنا .

٢- أثر التنغيم في التفريق بين الجملة الخبرية والجملة الاستفهامية:

ومن مصاديق ذلك قوله تعالى: (مَا أَغْنَى عَنِى مَالِيَهْ) الآية (٢٨).

إذ ذكر جمهور المفسرين أنَّ هذه الآية تحتمل المعنيين (الإخبار والاستفهام)، قال أبو حيان في تفسير البحر المحيط: ((ما أغنى عني ماليه): يجوز أن يكون نفياً محضاً، أخبر بذلك متأسفاً على ماله حيث لم ينفعه؛ ويجوز أن يكون استفهاماً وبَّخَ به نفسه وقررها عليه)[٣٦]. وقال ابن عطيه بذلك أيضاً: (وقوله تعالى: {ما أغنى} يحتمل أن يريد الاستفهام على معنى التقرير لنفسه والتوبيخ، ويحتمل أن يريد النفي المحض)[٣٧].

فعند حمل الآية على الإخبار تكون (ما) نافية، وحينئذٍ يكون المعنى على لسان ذلك الكافر المتجبر: (ما نفعني ملكي الذي كان لي في الدنيا)، وأما عند حملها على الاستفهام فإنَّ الأداة (ما) تكون استفهامية وبذلك يتغير معناها ويصبح تقديره: (أي أيُّ شيء أغنى عني ما كان لي في الدنيا من اليسار والملك)، وهذا استفهام على وجه التوبيخ، أي أنَّ الكافر يُوبِّخُ نفسه بطريق الاستفهام، وذلك لما يواجهه من حقائق بينة واضحة يوم القيامة.

ومن المعلوم أنَّ التنغيم الصوتي هو المحدد الوحيد لنوع الاسلوب في هذه الآية، إن كان

خبراً أو استفهاماً؛ ذلك أنَّ هذه الآية لم يحصل في بنيتها أيُّ تغيير، حتى يُمكننا أن نحدد من خلاله نوع الاسلوب المراد، لكن النغمة الكلامية هي التي حددت هذين الاسلوبين، وفرقت بينهما، فإذا نُطقت بنغمة صاعدة، فهي استفهامية، وإن نُطقت بنغمة مستوية، فهي خبرية، والشكل الآتي يوضح ذلك:

المطلب الثالث

مناسبة الصوت لمدلوله

لقد عُرفت فكرة الارتباط بين الصوت ومعناه عند علماء العرب القدماء أمثال الخليل ابن احمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ) وذلك عند عرضه لمادة (صرَّ) في قوله: (صرَّ الجندب صريراً، وصرَّ البابُ يصرُّ، وكلُّ صوت شبه ذلك فهو صرير، إذا امتد، فإذا كان فيه تخفيف وترجيع في إعادةٍ ضوعف كقولك: صرصر الاخطبُ صرصرةً)[٣٨]، كما ألمح سيبويه (ت١٨٠هـ) الى التناسب بين الصوت ومدلوله، وذلك في حديثه عن أوزان المصادر، إذ قال: (ومن المصادر التي جاءت على مثال واحد حين تقاربت المعاني قولك: النزوان والنقزان، وإنما هذه الاشياء في زعزعة البدن واهتزازه في ارتفاع....، ومثل هذا الغليان؛ لأن فيه زعزعة وتحرك)[٣٩].

وقد تبعهما من اللغويين القدماء العالم اللغوي ابن جني (ت ١٩٢) فقد عقد لذلك باباً في كتابه الخصائص بعنوان (امساس الالفاظ أشباه المعاني)، قال فيه: (فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث، فباب عظيم واسع، وذلك أنَّهم كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر بها عنها، فيعدلونها بها، ويحتذونها عليها، ومن ذلك قولهم: النضح للماء ونحوه، و(النضخ) أقوى من (النضح)، قال تعالى: (فيهما عينان نضاختان) الرحمن /٦٦، فجعلوا (الحاء) لرقتها للماء الضعيف، و(الخاء) لغلظها لما هو أقوى منه)[٤٠].

ولابد من الاشارة الى أنَّ قضية التناسب الصوتي للمعنى (محاكاة الأصوات لمعانيها) لم تقتصر على العربية فحسب، بل توافرت كذلك في القرآن الكريم، إذ عمد الاسلوب القرآني في كثير من المواضع الى رسم صورة مجسمة لمعنى الكلمة، تتناسب وأصوات تلك الكلمة، وهذا ما يُعرف بالتصوير الفني في القرآن، والذي قال عنه سيد قطب: (التصوير هو

الأداة المفضلة في أسلوب القرآن، فهو يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهني، والحالة النفسية وعن الحادث المحسوس، والمشهد المنظور، وعن النموذج الانساني، والطبيعة البشرية)[٤١].

وهذا التناسب الصوتي للمعنى نجده واضحا وجليا في سورة الحاقة المباركة في مواضع عدة منها:

أولاً: لفظ (صرصر) في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ الآية /٦.

فمما لاشك فيه أنَّ الإيحاء الصوتي للمعنى يبدو جلياً واضحاً في هذا اللفظ وخصوصا في صوتي الصاد والراء أولا، وتكرارهما ثانياً، وهذا ما تنبَّه إليه أغلب المفسرين، إذ قال البقاعي موضحا هذا التناسب الصوتي: (بريحٍ صرصر: أي هي في غاية من البرد والصوت، كأنَّهُ كرر فيها البرد حتى صار يحرق بشدته، والصوت حتى صار يصم بقوته)[٤٢]، وهذا ما أقره (ابن عاشور) حيث قال: (الصرصر: الرياح الشديدة يكون لها صوت كالصرير، ففي لفظة (صرصر) أي صيغة (فعلل) تكرار لصوت الصاد والراء ونلاحظ في صوت الصاد الصفير وفي الراء تكرار انفجاري وذلك يوحي بقوة الريح وضراوتها)[٤٣].

فلفظة (صرصر) هذه التي على وزن (فعلل) نجدها مكونة من تكرار مقطعٍ طويلٍ مغلقٍ، وهو كالآتي: ص ـَ ر / ص ـَ ر، وعليه فإنَّ تكرار هذا المقطع هنا قد جاء مشيراً لأمرين مهمين لابد من ذكرهما:

١- إنَّ تكرار المقطع يوحي بتكرار صوت الرياح وشدتها دون انقطاع وهو ما ذكره المفسرون كما لا حظنا.

٢- إنَّ طول المقطع إنما يوحي بطول مدة العذاب، وهذا ما يؤيده سياق السورة في قوله تعالى: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ الحاقة/٧، أي سخر الله تبارك وتعالى عليهم تلك الرياح الشديدة سبعة ليالٍ وثمانية أيامٍ دون انقطاع، وهي مدة تعذيب طويلة، كما يمكن القول: إنَّ المقطع الطويل وكما أسلفنا يترك أثراً كبيراً في نفس المتلقي[٤٤]، فلذلك اُختير هنا لهذا الغرض والله أعلم.

ثانياً: لفظة (انشقت) في قوله تعالى: ﴿وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ الحاقة /١٦.

تبدو الدلالة الصوتية واضحة في هذه الصيغة؛ ذلك أنَّها قد جاءت أولاً على وزن (انفعل)، والملاحظ على هذا الوزن أنَّه يأتي لمعنى واحد وهو المطاوعة، ولهذا اختص بالأفعال العلاجية، ولا يكون إلا لازما[٤٥]، ويأتي للدلالة على مطاوعة (فَعَلَ) كثيراً نحو: قطعته فانقطع، وكسرته فانكسر، ولغير المطاوعة قليلا نحو: جردته فانجرد، وأطلقته فانطلق[٤٦]، والمراد بالمطاوعة عند علماء التصريف هو قبول تأثير غيره أو بتعبير آخر استجابة المفعول لتأثير الفاعل كقولهم: فتحته فانفتح[٤٧]، وعليه فقد دلت صيغة (انشقت) هذه على مطاوعة السماء لفعل الشق، قال ابن عاشور: (وانشقاق السماء: مطاوعتها لفعل الشق، والشق: فتحُ منافذ في محيطها)[٤٨]. وثانياً: إنَّ صوت الشين في هذه الصيغة نجده قد ناسب بتفشيه وانتشاره مطاوعة السماء كلها لتأثير الفاعل؛ ذلك أنَّ صفة الشين هي التفشي والانتشار كما أكدها علماء الصوت[٤٩].

وعليه نجد أنَّ صوت الشين الدال على الانتشار والتفشي جاء محاكياً لحدث الانشقاق السريع لحظة البدء بالفعل، هذا الانشقاق الشامل لجميع أجزاء السماء دون استثناء، فضلا عن ذلك إنَّ زنة (انفعل) التي جاء عليها الفعل (انشق) توحي بسرعة تأثر الشيء الذي أُحكِمَ صنعه وإغلاقه كالسماء والأرض بفعل الفاعل، قالت الدكتورة نجاة عبد العظيم: (إنَّ هذه الصيغة إنما تسند للفاعل الذي ينفعل للحدث بسرعة وطواعية لحظة البدء به، فلا يصح أن تقول: فتحته فانفتح فيما أُحكم إغلاقه، ويؤنس لهذا ما جاء في القرآن الكريم على هذا الوزن، فقد ورد منه خمسة عشر فعلا، منها ما جاء مرة واحدة وهي: (انفطرت، انكدرت، فانفجرت، فانبجست، فانفلق، انبعث، فانهار)، من ذلك قوله تعالى: (فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا) البقرة /٦٠)[٥٠].

ومن هنا نلحظ أنَّ القرآن الكريم قد اختص وزن (انفعل) الدال على المطاوعة في وصف الأحداث التي تتطلب السرعة أي سرعة مطاوعتها لتأثير الفاعل كانشقاق السماء مثلا، ولم يختص وزن (تفعل) بذلك وإن كان دالا على المطاوعة أيضاً؛ ذلك (أنَّ المطاوعة بالتاء تختلف عن صيغة (انفعل) و(افتعل)؛ لأن استجابة الفاعل للحدث في مثل هدَّمته فتهدم قد تستوجب تكرار الفعل)[٥١]، وعليه يتضح لنا الفرق بين صيغة قطعته فانقطع الدالة

على سرعة الاستجابة للحدث، وبين قطعته فتقطَّع الدالة على استجابته للحدث بعد محاولة وتكرار أي عدم استجابته بسرعة.

المبحث الثاني

الدلالة الصرفية

يعرفُ الصرفُ لغةً: بأنَّه التغيير أو التحويل أو التصريف في الكلام، أي اشتقاق الكلام بعضه من بعض(٥٢).

أما في الاصطلاح: فهو العلم الذي يدرسُ أبنية الالفاظ، وأوزانها وما يطرأُ عليها من تغيير كالزيادة، والحذف، والصحة، والإعلال، والإدغام، والإمالة، وغير ذلك(٥٣). وقد سُمي علم الصرف بـ (علم الأبنية)(٥٤).

وللصرف أهمية بالغة عند علماء العربية؛ وذلك لصلته الوشيجة بعلوم اللغة الأخرى (الصوت والنحو والدلالة)، وكونه (يحتاج إليه جميع أهل العربية أتم حاجة، وبهم إليه أشد فاقة؛ لأنه ميزان العربية، وبه تُعرف أصول كلام العرب.....)(٥٥). كما تأتي فائدته الكبرى في معرفة دلالات أبنية الألفاظ، وما تحتمله من معانٍ مختلفة، وبذلك تكون الدلالة الصرفية هي مرآة هذا العلم، والتي عرّفها المحدثون بأنّها: ذلكَ النوعُ من الدلالة المُستمدةُ من طريق الصيغ، وأبنيتها(٥٦).

إذن فالدلالة الصرفية متأتية من أوزان (أبنية) الالفاظ وتغيراتها من جهة، و من الزيادات التي تطرأ على تلك الالفاظ من جهة أخرى، ومن هنا يمكننا بيان دلالة أهم ما وظف من صيغ صرفية في سورة الحاقة، مقتصرين في ذلك على دلالة الاسماء، ودلالة الافعال المزيدة، وهي على النحو الآتي:

أولاً: دلالة الاسم:

الاسم: هو ما دلَّ على ذات أو مسمى وليس الزمن جزءاً منه، ويفيد الثبوت لا التجدد والحدوث، مثل حافظ ويحفظ، وثابت ويثبت، وقائم ويقوم. فالأول يفيد الثبوت والثاني يفيد التجدد والحدوث(٥٧). قال عبد القاهر الجرجاني: (إنَّ موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدده شيئا بعد شيء، وأما الفعل فموضوعه على أنه

يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئاً بعد شيء)[٥٨].

فالاسم أعم وأشمل وأثبت في الدلالة من الفعل؛ وسرُّ ذلك أن الفعل مقيد بأحد الأزمنة الثلاثة مع إفادة التجدد، أما الاسم فالإفادة به لا تقتضي التقييد بالزمن والتجدد[٥٩]. ومن هنا كان الاسم أقوى وأقدر وأثبت دلالةً من الفعل.

وينقسم الاسم الى مجرد غير مشتق يدل على ذات الشيء أو مسماه دون الدلالة على الحدوث مثل: رجل، فرس، شجرة وغيرها، واسم يدلُّ على ذوات وأحداث مثل: أبنية المصادر، والمشتقات بأنواعها، ونحن منوطون بدراسة ما ورد من مشتقات، ومصادر في هذه السورة لبيان ما أشعت به من معنى، وهي كالآتي:

١ـ دلالة اسم الفاعل:

يُعرفُ اسم الفاعل بأنه: الاسم المشتق من مصدر الفعل المبني للمعلوم للدلالة على ما وقع منه الفعل[٦٠]، أي الحدث، وهو دالٌّ على الحدوث والتجدد[٦١]. وتقاس صيغته من الفعل الثلاثي على وزن (فاعل) في الغالب، ومن غير الثلاثي على وزن مضارعه مع إبدال حرف المضارعة ميماً مضمومة وكسر ما قبل الآخر وصيغته (مُفْعِل)[٦٢].

وقد يأتي اسم الفاعل لدلالات عدة منها: دلالته على المضي أو على الحال والاستقبال، أو على النسب، أو على الثبوت، أو على الشمول والمبالغة في الوصف وغير ذلك[٦٣]. ومن تلك الدلالات التي خرج لها اسم الفاعل في هذه السورة هي:

أ. دلالته على معنى ثبوت الحدث:

ومما ورد من ذلك اسم الفاعل (ملاقٍ) في قوله تعالى: ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾ الحاقة/٢٠.

إذ دل اسم الفاعل (ملاقٍ) المشتق من الفعل الرباعي (ألقى) على ثبوت لقاء العبد ربه في يوم الحساب، قال صاحب تفسير نظم الدرر: ({أني ملاق} أي ثابت لي ثباتاً لا ينفك أني ألقى بين يدي الديان)[٦٤]. وبهذه الدلالة نجدُ أنَّ التعبير القرآني باسم الفاعل دون الفعل قد ناسب معنى الظن الوارد في صدر الآية، والدال على اليقين الحقيقي في نفس ذلك

العبد المؤمن بملاقاة ربه يوم الحساب، فهو يقين بهذا اللقاء لا يشوبه أو يتخلله أي شك، وعليه فلو ورد الفعل (ألقى) بدلا من اسم الفاعل (ملاقٍ) لأصبحت الدلالة هي عدم التيقن التام عند ذلك العبد بوقوع يوم القيامة؛ لآن الفعل بطبيعته وكما أوردنا يدل على الحدوث والتجدد والتغير لا على الثبوت، فلما كان هنالك جمع من الناس ممن قد ثبت ورسخ في قلوبهم الإيمان المؤكد بحصول اللقاء في يوم الجزاء جيء بالاسم (ملاقٍ) ليدلَّ على ثبوت ذلك الإيمان عندهم، وعدم تزلزله في نفوسهم في الحياة الدنيا مع كثرة مغرياتها، وبثبات هذا الإيمان في نفوسهم كانوا مستعدين تماما لذلك اللقاء من أجل الفوز بالسعادة الأبدية وذلك بالقيام بالأعمال الصالحة، وهذا الاستعداد هو ما أشارت إليه هذه الآية عن طريق الكناية، قال ابن عاشور: (والمعنى: إنِّي علمت في الدنيا أن ألقى الحساب، أي آمنتُ بالبعث، وهذا الخبر مستعمل كناية عن استعداده للحساب بتقديم الإيمان والأعمال الصالحة مما كان سبب سعادته)[٦٥].

ب. دلالته على العموم والشمول والمبالغة:

قد تزاد التاء على قسم من الصفات فتكون دلالتها على المبالغة وليس على التأنيث (كالراوية والعارفة)، والأصل فيهما (الراوي والعارف) وهما من أسماء الفاعلين، وكذلك قد تدخل على أبنية المبالغة (كالعلامة والنسابة) وغيرهما[٦٦].

جاء في كتاب شرح التصريح على التوضيح: (وتأتي التاء للمبالغة في الوصف كراوية لكثير الرواية، وإنما أثنوا المذكر لأنهم أرادوا أنه غاية في ذلك الوصف....)[٦٧].

ويرى ابن جني أيضاً أنَّ الهاء (لم تلحق لتأنيث الموصوف بما هي فيه وإنما لحقت لإعلام السامع أنَّ هذا الموصوف بما هي فيه قد بلغ الغاية والنهاية فجعل تأنيث الصفة إمارة لما أريد من تأنيث الغاية والمبالغة)[٦٨].

وعليه فوصف المذكر باسم الفاعل المؤنث بالتاء يكون دالاً على العموم والمبالغة لا التأنيث، ومما ورد من ذلك الوصف في سورة الحاقة لفظة (الطاغية) في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾ الحاقة /٥.

فقد ذكر الفخر الرازي هذا المعنى في أحد توجيهاته لمعاني هذه اللفظة، وذلك بقوله: (ويجوز أن يكون المراد بالطاغية ذلك الرجل الواحد الذي أقدم على عقر الناقة وأهلك الجميع، لأنهم رضوا بفعله وقيل له طاغية، كما يقول: فلان راوية الشعر، وداهية وعلامة ونسابة)[٦٩]، وهذا المعنى هو ما رجحه الآلوسي في تفسيره، وذلك بقوله: (وكذا يُرجِّحُ الأول على قول مجاهد وابن زيد أيضاً أي بسبب الفعلة الطاغية التي فعلوها وهي عقر الناقة وعلى ما قيل الطاغية عاقر الناقة والهاء فيها للمبالغة كما في رجل راوية وأُهلِكوا كلهم بسببه لرضاهم بفعله)[٧٠].

والملاحظ على لفظة (الطاغية) هنا أنَّه بسبب دخول تاء التأنيث عليها قد تحولت من الوصفية الى الاسمية، وصار هذا الوصف اسماً مختصاً بعاقر الناقة لا ينفك عنه دالا على شخصه، وعلى مبالغة فعلته الشنيعة، ذلك بسبب طغيانه المتمثل بعقر الناقة، والذي يُمثِّلُ تعدياً وتجاوزاً على حدود الله تعالى.

فالطاغية إذن على هذا الرأي، و كذلك غيرها من الصيغ التي على وزن (فاعلة) مثل (راوية الشعر، وداهية العصر) وغيرها قد أصبحت أسماءً دالةً على المبالغة والعموم، بعد أن كانت صفاتاً، وذلك بسبب دخول التاء عليها، قال الدكتور فاضل صالح السامرائي: (إنَّ ما ختم بتاء التأنيث من هذه الصيغ انتقل من الوصفية الى الاسمية وكذا الأمر في المبالغة فإن التاء فيها حولت الوصف الى الاسمية فقولك (هو راوية) يفيد الدلالة على الاسمية كالعارضة والداهية والنازلة هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية أنَّ ما ختم بالتاء على وزن (فاعلة) كالداهية والقارعة والنازلة والقاصمة مما لم يرد به تأنيث (فاعل) يدل على العموم والشمول والشدة والمبالغة، فليس كل ما ينزل يسمى نازلة حتى يكون عاماً مستطيراً وشديداً قاهراً،..... ولذا كانت اغلب أسماء الحشر مؤنثة كالقارعة، والطامة، والصاخة، لما فيها من العموم والشمول والشدة والقهر)[٧١].

وانطلاقا من كلام الدكتور السامرائي فإنَّ لفظ الطاغية هنا لما لم يرد به لفظ مؤنث من لفظه فإنَّه أصبح اسماً دالاً على العموم والشمول والشدة والمبالغة؛ ذلك أنَّ الكافرين من قوم ثمود قد شملهم جميعاً ذلك العذاب العظيم بسبب تأييدهم لذلك الطاغي عاقر الناقة و لفعلته الطاغية ورضاهم بها.

ج. دلالته على النسب:

يأتي اسم الفاعل دالاً أحياناً على النسب، ومما ورد من ذلك قوله تعالى: (فهو في عيشة راضية) الحاقة/ ٢١، إذ ذكر كثير من علماء اللغة أنَّ اسم الفاعل (راضية) في هذه الآية إنما هو دالٌّ على النسب، قال سيبويه:(وقال الخليل: إنما قالوا: (عيشة راضية)، و(طاعم)، و(كاسٍ) على (ذا)، أي: ذاتُ رضاً، وذو كسوةٍ، وطعام، وقالوا: (ناعلٌ)لذي النعل)[٧٢].

وقال ابن السراج: (فأما ما كان ذا شيء وليس بصنعةٍ، فيجيءُ على (فاعل)، تقول لذي الدرع: دارع، ولذي النبل: نابل، ومثله: ناشب، وتامر، ذو تمر، و(عيشةٌ راضيةٌ): ذاتُ رضاً)[٧٣].

فمعنى (عيشة راضية) هنا: أنها حالةٌ من العيش منسوبة الى الرضا، وهذه النسبة كانت بصيغة اسم الفاعل، ذلك أن النسبة لا تكون بالحرف فقط وإنما تأتي بالصيغة أيضاً، قال الزمخشري: ({رَّاضِيَةٍ} منسوبة إلى الرضا؛ كالدارع والنابل، والنسبة نسبتان: نسبة بالحرف، ونسبة بالصيغة)[٧٤].

٢ـ دلالة المصدر:

المصدر هو (كلمة تدل على حالة أو حدث دون الإشارة الى زمن معين، أو هو الاسم الدال على حدث مجرد من الزمان كالقيام والقعود والكتابة والعطاء)[٧٥]، والمصدر هو أصل الفعل ولجميع المشتقات عند علماء البصرة [٧٦]، والمصادر لها أبنية كثيرة، ودلالات متعددة المعنى، فمصادر الثلاثي هي مصادر سماعية في الغالب، وهي كثيرة ولها معان كثيرة، ولكن المصادر الرباعية فأكثر تكون قياسية وهي أكثر دلالة ومبالغة من الثلاثية، وتوجدُ أبنية منها مشهورة مثل: فعالة، وفُعال، وفعلان، وتفعال، وغيرها[٧٧].

ومما ورد من تلك المصادر الزائدة في سورة الحاقة المصدر الميمي (تذكرة) في قوله تعالى في وصف القرآن الكريم: (وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ) الحاقة /٤٨.

فقد عُبِرَ عن القرآن هنا باسم المصدر (تذكرة)؛ وذلك للدلالة على تأكيد استمرارية هذا الحدث له، فالقرآن هو تذكرة ثابتة في كل الأزمنة ماضيا، وحاضرا، ومستقبلا، قال (ابن عاشور) في تفسير هذه الآية: (فالقرآن تذكرة للمتقين في الماضي والحال والمستقبل، فإن

الإخبار عنه باسم المصدر يتحمل الأزمنة الثلاثة إذ المصدر لا إشعار له بوقت بخلاف الفعل وما أشبهه)[٧٨]، كما أنَّ زنة (تفعلة) التي جاء عليها اسم المصدر (تذكرة) تأتي لمعانٍ عدة، فهي (تجيء لما يؤدي الى الشيء كالتهلكة وهي ما يؤدي الى الهلاك وكالتبصرة وهي ما يؤدي الى الإبصار والتذكرة وهي ما يؤدي الى التذكر)[٧٩]، فنجدها هنا دالة على السببية، ولذلك فإنَّ صيغة تذكرة هنا قد أدت معنيين هما: المبالغة والاستمرارية في التذكر والتدبر، إضافة الى السببية، فالقرآن الكريم بكثرة تذكره للمتقين كان أيضاً سببا لهدايتهم، ودوام ثبوتهم على التقوى، ولذلك جاء القرآن بعد صيغة (تذكرة) باسم الفاعل (المتقين) ليناسب دلالتها على الثبوت؛ كون اسم الفاعل كالمصدر يفيد ثبوت المعنى كذلك.

وعليه فلما أُريد ثبوت هذا الوصف للقرآن الكريم جاء وصفه هنا باسم المصدر دون الصفة؛ ذلك أنَّ (الوصف بالمصدر أقوى من الوصف بالصفة، فالوصف بالمصدر يشعرك أنَّ الموصوف صار في الحقيقة مخلوقاً من ذلك الفعل، وذلك لكثرة تعاطيه له واعتياده إياه، ويدل على أنَّ هذا المعنى له)[٨٠].

ثانياً: دلالة الفعل:

يُعرَّف الفعل بأنَّه ما دلَّ على معنى في نفسه مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة: الماضي والحاضر والمستقبل، وينقسم الفعل على ثلاثة أقسام (ماضٍ ومضارع وأمر) بحسب ما ذهب إليه البصريون[٨١] وهذه الثلاثة تكون مقسمة على نوعين: ثلاثي، ورباعي، وكلٌّ منهما ينقسم الى مجرد ومزيد[٨٢]، وقد استقصى الصرفيون أحرف الزيادة فوجدوها لا تتعدى عشرة أحرف يجمعها قولهم: (سألتمونيها) أو (اليوم تنساه) أو (هويت السمان)[٨٣]، وإنَّ الابنية المزيدة تكون أكثر دلالة من الأبنية المجردة وذلك لما تحققه من زيادة في المعنى، فإنَّ زيادة المبنى تأتي لزيادة في المعنى، فهناك تناسبٌ طردي بين الصيغة والدلالة، فكلما زاد المبنى قويت الدلالة[٨٤]، وقد استدل ابن جني على ذلك بأمثلة عدة نحو: خَشُنَ، واخشوشن، فمعنى خَشُنَ دون معنى اخشوشن، لما فيه من تكرير العين وزيادة الواو، ومثل خلق، واخلولق، وغدن واغدودن[٨٥].

وعليه يمكن ملاحظة ورود الأفعال المزيدة في سورة الحاقة المباركة، وغلبتها على الأفعال المجردة؛ وذلك لأن الأبنية الزائدة أو الطويلة لها تأثيرٌ في نفس المتلقي، وهذا

ما جعلها مناسبةً لجو السورة الموحي بالأهوال والافزاع والرهبة، ويمكن إيجاز تلك الأفعال المزيدة بالآتي:

١ـ دلالة الفعل الثلاثي المزيد على زنة (فعّل):

زنة فعَّلَ مزيدة بالتضعيف وتأتي متعدية ولازمة، نحو قوله تعالى: ﴿وغلّقت الابواب﴾ يوسف /٢٣، وقوله: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ الحشر/١، والصف /١. وتأتي هذه الزنة لمعانٍ عدة هي: التكثير، والمبالغة، والصيرورة، والنسبة، والقيام، والإزالة، واختصار الحكاية وغيرها(٨٦).

ولكن شاع استعمال (فعَّل) في الدلالة على التكثير والمبالغة، قال سيبويه: (هذا باب دخول (فعّلت) على (فَعَلتُ) لا يشركه في ذلك (أفعلتُ)، تقول: كسرتها وقطعتها، فإذا أردت كثرة العمل قلت: كسَّرته وقطَّعته وجرَّحته: أكثرت الجراحات في جسده، وقالوا: موَّتت وقوَّمت إذا أردت جماعة الابل وغيرها)(٨٧).

ومما جاء على وزن (فعَّل) من الافعال وهو يفيد التكثير والمبالغة في سورة الحاقة الفعل (كذَّب) في قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾ الحاقة/٤. ومع أنَّ المفسرين لم يتكلموا عن دلالة هذا الفعل، إلا أنَّه قد جاء هنا مزيداً بالتضعيف ليكون دالاً على مبالغة قوم عاد وثمود بتكذيبهم بيوم القيامة، المُعبَّرُ عنه هنا بالقارعة، لأن القارعة أحد اسماء يوم القيامة، وهذا المعنى واضح وبين وذلك من سياق الآيات التالية لهذه الآية، وذلك في قوله تعالى: (فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية، واما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية) الحاقة / ٥و٦، فإنَّ شدة العذاب دالة على شدة كفرهم وعنادهم، وكثرة تكذيبهم، وعدم تصديقهم لأنبيائهم.

٢ـ دلالة الفعل الثلاثي على زنة (تفعّل):

يأتي هذا الوزن لمعانٍ عدة أشهرها: المطاوعة، والتكلف، والاتخاذ، والتجنب، والتدريج أو التكرار، والطلب، والصيرورة(٨٨)، ومن معانيه التي دلَّ عليها في سورة الحاقة هي (التكلف)(٨٩) وذلك في الفعل (تقوَّلَ) في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ﴾ الحاقة/٤٤.

فالفعل (تقوَّل)، وكما ذكره المفسرون قد دلَّ على معنى افتراض تكلف القول أو افتعال القول بغير الحق، قال الشيخ الطوسي: (فالتقول تكلف القول من غير رجوع إلى حق، والتقول والتكذب والتزيد بمعنى واحد)[٩٠]، وأورد ذلك الفخر الرازي قائلا: (التقول افتعال القول، لأن فيه تكلفاً من المفتعل..... والمعنى: ولو نسب إلينا قولا لم نقله)[٩١].

ولا بد من الإشارة الى أنَّ هذا التقول (تكلف القول) الوارد في الآية الكريمة إنما هو تقول مفترض، يُراد من ورائه صدق دعوة الرسول ﷺ، وإثبات أنّ القرآن هو كلام الله تعالى، وإنه ﷺ لم يصطنعه ولم يختلقه من نفسه، وذلك بدليل أداة الشرط (لو) أولا التي هي أداة امتناع لامتناع عند النحويين[٩٢]، وثانيا: إنَّ هذه الآية وما بعدها في قوله تعالى: (لأخذنا منه باليمين، ثم لقطعنا منه الوتين، فما منكم من أحد عنه حاجزين)الحاقة/٤٥،٤٦، ٤٧، إنما جاءت بهذا الاسلوب القرآني البديع لتؤكد عن طريق الكناية البلاغية، صدق تلك الدعوة، قال البقاعي: (وهذا كله كناية على أبلغ الوجوه عن أن هذا الذكر كلام الله لا شبهة فيه بوجه، مضموماً ذلك إلى وجوه إعجازه، فإن (لو) لامتناع الثاني لأجل امتناع الأول، فالتقدير كما يقال في القياس الاستثنائي: لكنا لم نأخذه هذا الأخذ فثبت أنَّه ما تقول علينا شيئاً، فثبت أنَّ ما قال كلامنا ثبوتاً تاماً بالبرهان على وجه لا يرام نقضه)[٩٣].

وعليه فلما امتنع حصول العذاب له ﷺ أمتنع وانتفى تبعا لذلك تقوله على الله تبارك وتعالى، وإنَّ ما جاء به يمثلُ صدق دعوته الكريمة.

ومن الافعال التي جاءت على هذا الوزن أيضاً، وكانت دالة على قلة الحدث أو قلة فعل الفاعل الفعل (تذكَّرَ) وذلك في قوله تعالى في معرض نفي كون القرآن من أقوال الكهنة: ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ الحاقة /٤٢

ففي هذه الآية نجد أن القرآن الكريم قد أورد الفعل (تذكرون) بتاء واحدة على وزن (تفعَّل)، ولم يقل (تتذكرون) بتاءين، وذلك ليؤكد قلة تفكُّر الكفرة والمعاندين بشأن القرآن الكريم، ذلك أنَّ الله سبحانه وتعالى لما نفى كون القرآن من أقوال الكهنة في الآيات السابقة، وصف الكفار على إثر هذا النفي بأنهم قليلو التفكر بأمر القرآن، فإنهم لو تفكروا بتدبر وتأمل لعرفوا أنَّ هذا القرآن لم يكن من وضع الكهنة، ولكن تفكرهم بهذا الأمر كان قليلا،

وقاصراً، ومحدوداً، ولذلك ورد الفعل (تذكرون)محذوف التاء ليناسب قلة هذا الحدث، قال البقاعي موضحا ذلك: (وأكد أمر القلة والخفاء بإدغام تاء التفعل فقال تعالى: (تذكرون)..... فمباينته للكهان لا يحتاج الى غير تذكر قليل كما أشار إليه إدغام تاء التفعل)[٩٤].

ومن هنا نجد أنَّ هذا الاقتطاع الحاصل في حروف هذا الفعل وفي غيره من الافعال الواردة في القرآن، إنما يهدف الى قلة معنى الفعل وقصر زمنه، وهذا ما صرح به الدكتور فاضل السامرائي قائلا: (إنَّ القرآن يحذف من الكلمة لغرض ولا يفعل ذلك إلا لغرض ومن ذلك... أنَّه يحذف من الفعل للدلالة على أنَّ الحدث أقل مما لم يُحذف منه، وإنَّ زمنه أقصر ونحو ذلك، فهو يقتطع من الفعل للدلالة على الاقتطاع من الحدث، أو يُحذف منه في مقام الإيجاز والاختصار بخلاف مقام الإطالة والتفصيل، فإذا كان المقام مقام إيجاز أوجز في ذكر الفعل فاقتطع منه، وإذا كان في مقام التفصيل لم يقتطع من الفعل بل ذكره بأوفى صورة)[٩٥].

وانطلاقا من كلام الدكتور السامرائي يمكننا القول: إنَّ الفعل (تذكر) المحذوف التاء لم يأتي لبيان قلة تفكر الجاحدين بالقرآن فحسب، وإنما جاء منسجما مع سياق سورة الحاقة، ذلك السياق المتصف بالإيجاز والاختصار، وعدم الإطالة، والله أعلم.

المبحث الثالث

الدلالة النحوية

للمعنى أثرٌ ملموس في الدراسات النحوية التي ظهرت منذُ بدء التأليف النحوي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، ويظهرُ هذا الأثر واضحاً في مناهج البحث النحوي، وصياغة النحاة أصول النحو وفروعه، وتعليلهم ظواهره وأحكامه، ودراستهم دلالة مفردات اللغة وتراكيبها، وفهمهم أساليب الكلام وطرائق التعبير، وجدلهم في الاختلاف في أوجه الإعراب للفظ الواحد، وتأويلها وتخريجها، وغير ذلك مما زخرت به تصانيفهم من مسائلَ نحوية، وحجج وموازنات ومناظرات ومؤاخذات، كُلّ ذلك كان في متناول دراساتهم لغرض المعنى وفهم الكلام[٩٦]. وعليه يمكن تعريف الدلالة النحوية بأنّها: تلك الدلالة التي

تحصل من خلال العلاقات النحوية بين الكلمات التي تتخذ كُلٌّ منها موقعاً معيَّناً في الجملة بحسب قوانين اللغة، ولابُدَّ من أن تكون لها وظيفةُ نحوية من خلال موقعها(٩٧).

ولا يخفى أنَّ سورة الحاقة كغيرها من السور القرآنية قد تضمنت جملة من التركيب النحوية التي جاءت بدورها بدلالات جليلة، قد كشف المفسرون النقاب عنها في كتبهم، ونأخذ من تلك الدلالات النحوية أبرزها التي وردت في الأساليب الآتية:

أولاً: دلالة الحذف والذكر:

لقد اتسمت لغة العرب بأنَّها تميلُ الى الاختصار والإيجاز القولي، ذلك الإيجاز المقتضي حذف مفردات أو جمل من دون الإخلال بالمعنى المراد، وهو ما دفع اللغويين والبلاغيين لدراسة موضوع الحذف، والبحث بعناية في أغراضه الدلالية، والقول: بأنَّه لا يجوز حذف شيء من الكلام إلا بوجود قرائن تجيز الحذف، أي وجود ما يدل على المحذوف ويغني عنه، قال ابن السراج مؤكداً ذلك: (وأعلم أنَّ جميع ما يُحذف فإنهم لا يحذفون شيئا إلا فيما أبقوا دليلا على ما ألقوا)(٩٨).

كما أجمل ابن جني وجوه الحذف بقوله: (قد حذفت العرب الجملة والمفرد والحرف والحركة، وليس شيء من ذلك إلا عن دليل عليه، وإلا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته)(٩٩).

وعليه فقد لاحظ علماء اللغة أنَّ الحذف في كلام العرب لم يأت اعتباطاً بل جاء لعلل وأغراض دلالية يريدها المتكلم ومنها: كثرة الاستعمال، والتخفيف والإيجاز، والتفخيم والتعظيم، والتحقير والتشويق للمحذوف، وغير ذلك(١٠٠).

ومن الجدير بالذكر أن القرآن الكريم هو من أكثر النصوص التي راعت قضية الذكر والحذف، فما من ذكر لمفردة قرآنية أو جملة إلا لمراعاة السياق الواردة فيه، وما من حذف فيه إلا كان الحذف هو الأنسب والأحكم للصياغة المعجزة(١٠١). وهذا ما نجده واردا في سورة الحاقة، حيث جاء هذا الاسلوب هنا لدلالات متنوعة تتناسب وجو السورة العام، نذكر منها الآتي:

١ـ دلالة الحذف على التخفيف والإيجاز في الكلام :

مما ورد من ذلك حذف لفظ (السفينة) من قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ (الحاقة /١١).

فقد حذفت كلمة السفينة هنا لأجل التخفيف، و حلَّت محلها لفظة (الجارية) لأنها صفة لها، وإنما تحل الصفة محل الموصوف إذا شاع استعمالها، وكثر عند المتكلمين حتى تصبح بمنزلة الاسم الموصوف، فعندئذٍ تكتسب دلالته اللغوية، ويصبح ذكره في الكلام ليس ضروريا؛ لأن هناك من يغني عنه دلالياً فيحل محله، قال ابن عاشور: (الجارية: صفة لمحذوف وهو السفينة، وقد شاع هذا الوصف حتى صار بمنزلة الاسم)[١٠٢].

فلفظة (الجارية) التي هي اسم فاعل من الفعل (جرى) يجري إذا أسرع، بما أنها قد شاع استعمالها صفةً لسفينة نوح عليه السلام، وبما أنَّ السفينة هي مما يجري على الماء كذلك أي تسرع في جريانها، لذلك حذفت في هذه الآية وحلت صفتها محلها، للتخفيف والإيجاز في الكلام؛ كونهما متقاربان دلالياً، إذ أصبحت لفظة (الجارية) عندما تطلق يراد بها السفينة بعينها، وهذا ما ورد في القرآن الكريم في غير موضع، قال تعالى: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِي الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ﴾ (الرحمن/٢٤).

٢ـ دلالة الذكر على تأكيد المعنى و تفخيمه:

ومما ورد من ذلك هو ذكر لفظة القارعة في قوله تعالى: (كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ)الحاقة /٤، فقد جاء ذكر القارعة في هذه الآية بدل المجيء بضمير الحاقة لأجل الدلالة على تأكيد معنى الحاقة وتفخيمها، قال السيد الطبطبائي في تفسير الميزان: (وكان مقتضى الظاهر أن يقال: كذبت ثمود وعاد بها فوضع القارعة موضع الضمير لتأكيد تفخيم أمرها)[١٠٣]. وهذا المعنى قد أشار اليه الفخر الرازي أيضاً من قبل[١٠٤].

ثانياً: دلالة التقديم والتأخير:

إنَّ الأصل في الجملة هو الترتيب على النمط المعهود من قواعد النحو، لكن قد يُقدم المُؤخر ويُؤخر المقدم لغرضٍ بلاغي أو لغرضٍ يتعلق بالمعنى على ألا يخل ذلك بالمعنى أو يخالف قواعد اللغة وأن يؤمن اللبس، فقد يكون التقديم أبلغ من التأخير، كتقديم المفعول

على الفعل أو الفاعل، وكتقديم الخبر على المبتدأ، وغير ذلك[١٠٥].

ولهذا فقد عني علماء اللغة والبلاغة بهذا الاسلوب كونه يشكل باباً واسعاً يهدف لغايات قولية دلالية تكشف بدورها عن قدرات العرب العالية في بدائع الكلام ولطائفه شعراً ونثراً، فقد وصفه عبد القاهر الجرجاني بقوله: (بابٌ كثير، الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية.....)[١٠٦].

(وقد بلغ القرآن الكريم في هذا الفن ـ كما في غيره ـ الذروة في وضع الكلمات الوضع الذي تستحقه في التعبير بحيث تستقر في مكانها المناسب)[١٠٧].

فكان ذلك أحد البواعث التي دفعت المفسرين الى دراسة هذا الاسلوب الجليل والوقوف عند غاياته وأسراره وبيان ما خرج إليه من معانٍ مختلفة، ومن تلك المعاني التي ورد لأجلها هذا الاسلوب في سورة الحاقة المباركة يمكن إيجازها في الآتي:

١ـ الدلالة على تعجيل الإساءة بالعذاب:

قال تعالى في مورد تعذيب الكفرة بحال المفرد: ﴿ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ (الحاقة /٣١)، إذ ورد هنا تقديم المفعول به (الجحيم) على العامل أو الفعل (صلوه) ليكون دالا على إساءة المعذب بالجحيم، وكذلك مراعاة للفاصلة القرآنية المتمثلة بحرف التاء، جاء في تفسير التحرير والتنوير: (إنَّ تقديم (الجحيم) على عامله لتعجيل المساءة مع الرعاية على الفاصلة)[١٠٨].

فلما كان المقام هو مقام بيان حال من يُؤتونَ كتابهم بشمالهم وهم الخاسرون الهالكون آنذاك، لذا قدَّم من ستكون مقرهم الأخير، وهي نار جهنم المُعبَر عنها بـ(الجحيم) على الفعل (صلوه) لأجل إظهار الرهبة، والإساءة والتحقير لكل مذنب متكبر. والله أعلم.

٢ـ الدلالة على شدة العذاب وقوته:

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ، وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ الحاقة/٥،٦.

لقد ذكرت كتب التاريخ أنَّ قوم ثمود كانوا بعد عاد، وهم من أنسابهم[١٠٩]، ولكن تمَّ ذكر ثمود قبل قوم عاد في هذه الآية؛ لأنَّ العذاب الذي أصابهم كان أشد وأعظم مما أصاب

قوم عاد من عذاب، ذلك أنه عبَّر عن عذاب قوم ثمود بالطاغية، ولفظة (الطاغية) بدورها تدل على شدة ما نزل بهم من عذاب، فهي من قبيل القرع والضرب والصعق، وهذا المعنى لم يشر له سوى ابن عاشور، وذلك بقوله: (ابتدأ بذكر ثمود لأن العذاب الذي أصابهم من قبيل القرع؛ إذ أصابتهم الصواعق المسماة في بعض الآيات بالصيحة)[١١٠].

ودليل كون العذاب الذي أصاب قوم ثمود كان شديدا وعظيما، هو إنَّ القرآن الكريم قد عبَّر عن عذابهم بصور متعددة في غير موضع وكلها تشير الى شدة ما نزل بهم من عذاب، قال السيد مكارم الشيرازي موضحا ذلك: (النقطة الجديرة بالملاحظة هنا هي أن القرآن الكريم يعبر عن عقاب هؤلاء الأقوام المتمردين بـ(العذاب الشديد)، وقد كان العذاب الشديد بصور متعددة حيث عبر عنه بـ (الطاغية) كما جاء في الآية مورد البحث وأخرى بالـ (رجفة) كما جاء في سورة الأعراف الآية (٧٨) وثالثة كان بصورة (صاعقة) كما ورد في سورة فصلت الآية (١٣)، ورابعة كان على شكل (صيحة) كما جاء في سورة هود الآية (٦٧). وفي الحقيقة فإنَّ جميع هذه التعابير ترجع إلى معنى واحد، لأن الصاعقة دائما تكون مقرونة: بصوت عظيم، ورجفة على النقطة التي تقع فيها، وعذاب طاغٍ عظيم)[١١١].

فتقديم ثمود هنا قد حصل لبيان شدة ما حل بهم من عذاب، بسبب شدة انكارهم لدعوة نبيهم صالح عليه السلام وتكذيبهم إياه، وبسبب قتلهم الناقة ظلما وعدوانا، وكذلك مراعاةً لسياق الآية السابقة لهذه الآية، وذلك في قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾ الحاقة /٤. حيث قدم ثمود على عاد. ومن هنا تتضح لنا المناسبة اللطيفة الحاصلة بين شدة وقوة ما حلَّ بقوم ثمود من عذاب عظيم، وبين شدة عنادهم وتكذيبهم لنبيهم عليه السلام وتعاليهم وتكبرهم الضال على دعوته الحقة.

٣ـ التقديم للدلالة على تخصيص المقدم والاهتمام به:

يمكن تلمس هذه الدلالة في قوله تعالى في مورد عذاب الكفرة: ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ (الحاقة /٣٢). إذ جيء بالمعمول (السلسلة) قبل العامل (الفعل) (اسلكوه)؛ وذلك لأن ذكره أولا أهم، بالإضافة الى أنَّ هذا العذاب لا يكون إلا بهذا النوع

من الاشياء دون غيره، قال أبو السعود موضحا سبب هذا التقديم: (وتقديمُ السلسلةِ كتقديمِ الجحيمِ للدلالةِ على الاختصاصِ والاهتمامِ بذكرِ ألوانِ ما يعذبُ بهِ)[١١٢]، كما نجد أنَّ الزمخشري قد أشار من قبل إلى دلالة التخصيص وذلك بقوله: (والمعنى في تقديم السلسلة على السلك: مثله في تقديم الجحيم على التصلية، أي: لا تسلكوه إلا في هذه السلسلة، كأنها أفظع من سائر مواضع الإرهاق في الجحيم)[١١٣].

كما يمكن القول: إنَّ التقديم هنا لم يأتِ فقط للدلالة على الاختصاص والاهتمام بالمقدم فحسب، بل إنه قد حصل مراعاة لإقامة الوزن؛ إذ أن الفعل (اسلكوه) بما أنه قد ختم بالتاء فقد أُخرِ لأجل التوافق مع ما قبله من الفواصل القرآنية، ذلك أنَّ (للتقديم والتأخير أثراً واضحاً في حلاوة النغمة بالإضافة إلى دقة المعنى)[١١٤].

كما أنَّ هذا الغرض أي (الاختصاص والاهتمام بالمقدم) الذي ذكره المفسرون هو أحد أغراض تقديم الجار والمجرور، والتي هي كثيرة، ومنها: الحصر والاختصاص، والقصر، ولتعجيل المسرة والمساءة، وقد يكون التقديم لأداء معنى لا يفهم بدونه وغيرها[١١٥].

ثالثاً: دلالة أسلوب التوكيد:

يُقصدُ بالتوكيد تمكين المعنى في نفس المخاطب وتقويته، وقد كثُرَ دخول التوكيد على الخبر وذلك لحاجة المخاطِب إلى توكيد الخبر المحتمل للصدق والكذب، و لا يقتصر التأكيد على الخبر، بل يظهر في الامر والنهي والقسم وذلك بدخول النون المؤكدة في أفعال هذه المعاني[١١٦]. وإنَّ سورة الحاقة كغيرها من السور لم تخلُ من هذا الأسلوب، ولذلك فقد تضمنت أنواعاً متعددة منه نذكر منها :

١ـ التوكيد بـ (إنَّ) و (اللام):

(إنَّ) هي من الحروف المشبهة بالفعل تدخل على المبتدأ والخبر فتنصب الأول اسما لها وترفع الثاني خبرا لها، وهي تفيد التوكيد، قال ابن يعيش (ت ٦٤٣هـ): (فأما فائدتها فلتأكيد مضمون الجملة، فإنَّ قول القائل: (إنَّ زيداً قائم) ناب مناب تكرير الجملة مرتين إلا أنَّ قولك: (إنَّ زيداً قائم) أوجز من قولك: (زيدٌ قائم زيدٌ قائم) مع حصول الغرض من التأكيد)[١١٧]. وقال ابن الناظم (ت ٦٨٦هـ): (إنَّ لتوكيد الحكم ونفي الشك فيه أو الانكار له)[١١٨].

أمّا اللام، فقد أجمع النحاة على أنها للتأكيد كذلك[١١٩]، إذ قال ابن يعيش: (اعلم أنَّ هذه اللام هي أكثر اللامات تصرفاً ومعناها التوكيد، وهو تحقيق معنى الجملة وإزالة الشك)[١٢٠].

ومن خلال ما تقدم يتبين لنا ما تفيده (إنَّ) و(اللام) في أثناء دخولهما على الجمل، وإنَّ الناظر في سورة الحاقة يجدهما قد تكررا في كل من الآيات (٤٠، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١). ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ (الحاقة /٤٠).

جاء في تفسير التحرير والتنوير: (وتأكيد الخبر بحرف (إنَّ) واللام للرد على الذين كذبوا أن يكون القرآن من كلام الله ونسبوه إلى غير ذلك)[١٢١].

كما أنَّ الناظر في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ * وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُمْ مُكَذِّبِينَ * وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ * وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾ الحاقة / الآيات (٤٨) (٤٩) (٥٠) (٥١).

يجدُ أنَّ حرفي التوكيد (إنَّ، واللام) قد تكررا معاً في هذه الآيات الأربعة، وسرُّ ذلك هو لمراعاة السياق القرآني، ذلك أنَّ الكلام في هذه الآيات هو بمثابة تكملة توكيدية لما قبله من تعبير قرآني بإثبات كون القرآن ليس من أقوال الكهنة، ولا من أقوال الشعراء كما ادعى الكافرون، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ * وَمَا لَا تُبْصِرُونَ * إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ * وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ * تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٤٣) وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ الحاقة / ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧.

فلما كان هذا الكلام هو في معرض رد ادعاء أهل الزيغ والضلال، وتفنيد أكاذيبهم الباطلة لأحقية القرآن الكريم، لذا استوجب التعبير هنا التأكيد بأكثر من مؤكد واحد، فجاء التأكيد أولا بالقسم، ذلك أن القسم يعدُّ نوعا من أنواع التوكيد، إذ إنَّ القسم تأكيد لكلام المتكلم، أو هو جملة يؤكد بها جملة أخرى كلتاهما خبرية، الغرض منه توكيد الكلام وتقويته[١٢٢]، ثم جاء التأكيد ثانياً بحرفي النفي (ما، ولا) وهما من المؤكدات أيضاً، بعدها كان التأكيد بـ (إنَّ واللام)، وقد تكررا في أربعة مواضع متتالية، ومغزى ذلك أنَّ (اللام إن اجتمعت مع إنَّ وكان الكلام مع المنكر كانت الحاجة إلى التأكيد أشد)[١٢٣]. إذن فمجيء

هذه المؤكدات المختلفة كان بحسب حاجة الكلام إليها، لأن التوكيد يأتي بحسب الحاجة، إذ إنَّ المخاطِب أو المتكلم إذا لم يكن فيه حاجة إلى التوكيد ترك توكيد الكلام، فإن كان يحتاج إلى أكثر من مؤكد جاء على قدر الحاجة زيادة في التوكيد والاثبات[١٢٤].

٢ـ التوكيد بالنعت:

يُعرَّفُ النعتُ بأنه التابع المكمل متبوعه ببيان صفة من صفاته نحو: (مررتُ برجلٍ كريمٍ) أو ببيان صفة من صفات ما تعلق به، وهو ما يسمى بالنعت السببي، نحو: (مررتُ برجلٍ كريمٍ أبوه)[١٢٥]. كما ويأتي النعتُ لأغراضٍ أخرى أهمها (التخصيص، والتوضيح، والثناء والمدح، والذم والتحقير، والترحم، والتأكيد)[١٢٦]، وغيرها.

ودلالة التأكيد هي محل الشاهد، حيث ورد التوكيد بالنعت في سورة الحاقة في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ * وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ الحاقة (١٣، ١٤).

فقد جاء في شرح جمل الزجاجي في بيان دلالة (واحدة) في هاتين الآيتين: (..... وقولنا: أو تأكيد مثال قوله تعالى ﴿نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ (الحاقة/١٣) فواحدة نعت على جهة التأكيد لأنه قد علم أنَّ النفخة واحدة)[١٢٧].

كما أنَّ تغيير شؤون الكون بنفخة واحدة هو بحد ذاته تأكيد عظمة، وقدرة الباري عز وجل على هلاك جميع الاشياء بتلك النفخة لا غير، قال البقاعي: (فقال: {نفخة} ولما دل بالفعلة على الواحدة، أكده دلالة على عظيم قدرته وحقارة الأشياء عنده بقوله: {واحدة} أي فهلك الخلائق كلهم)[١٢٨].

رابعاً: دلالة التعريف والتنكير:

التعريف لغة: هو الإعلام، واصطلاحاً: هو ضد التنكير[١٢٩]، فـ(المعرفة ما دل على شيء بعينه، والنكرة ما دل على شيء لا بعينه)[١٣٠].

أي أنَّ التعريف يرتبط دلاليا بالوضوح والبيان، وحقيقة الشيء والإعلام، والتسمية والماهية، أمَّا التنكير فيرتبطُ بالجهل بحقيقة الشيء، وعدم تعيينه أو تحديده، فهو ضد البيان والوضوح[١٣١]. كما أن التعريف يُستفادُ منه في تحديد الدلالة، وبيان دقة ما تشير إليه اللغة

في سياقاتها المختلفة، فإنَّ التنكير قد يأتي (تعميقاً يمنح البنية مقدرة على العطاء المتجدد المتواصل الذي يثري الدلالة متجاوزاً المتعارف عليه)[١٣٢].

ومثلما استعمل القرآن الكريم ألفاظاً معرَّفةً لأجل دلالات معينة، كذلك استعمل ألفاظاً نكرات بدلالات أخرى تطلبها السياق القرآني، ومما ورد من الألفاظ النكرة في سورة الحاقة هو لفظ (أذنٌ واعيةٌ) في قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ * لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ (الحاقة / ١١، ١٢).

فقد ورد هذا اللفظ نكرة ليعطي معنى التوبيخ والتقليل، حسبما ذكرت كتب التفسير، إذ جاء في تفسير الفخر الرازي: (فإن قلت: لم قيل: أذن واعية، على التوحيد والتنكير؟ قلت: للإيذان بأنَّ الوعاة فيهم قلة، ولتوبيخ الناس بقلة من يعي منهم؛ وللدلالة على أنَّ الأذن الواحدة إذا وعت وعقلت عن اللَّه فهي السواد الأعظم عند اللَّه، وإنَّ ما سواها لا يبالي بهم بالة وإن ملئوا ما بين الخافقين)[١٣٣]. كما ضمن كلام أبي السعود هذا المعنى، وذلك بقوله: (والتنكيرُ للدلالةِ على قلَّتِهَا وإنَّ مَن هَذا شأنُه مَع قلتِهِ يتسببُ لنجاةِ الجمِّ الغفيرِ وإدامةِ نسلِهِم)[١٣٤].

فلما كان أهل مكة أكثرهم من المعاندين والمنكرين للقرآن الكريم، لذا تم اختيار لفظة (أذن) منكرة، لتدل بتنكيرها على قلة من يعي منهم لأمر الله سبحانه وتعالى، وعلى قلة اتعاظهم بما جرى على الأمم السالفة من عذاب وهلاك، كون أكثرهم للحق كارهون، وهذا المعنى لن يحصل لو جاءت كلمة (أذن) مُعرَّفة، بل لانعكس معناها، وأصبحت تدل على استغراق الجنس، أي أن هناك وعاة كُثر للقرآن، وهذا بدوره يكون مخالفا لما ورد في الآيات السابقة لهذه الآية، وذلك في معرض تذكير أهل مكة وتحذيرهم بما حلَّ بفرعون ومن قبله من الأمم المكذبة بآيات الله، وذلك في قوله تعالى: ﴿جَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ * فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً * إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ * لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ الحاقة / ٩، ١٠، ١١، ١٢.

فإنَّ الذين خالفوا فرعون واتبعوا موسى عليه السلام هم الفئة القليلة، والذين نجوا مع نوح عليه السلام هم من صدقوه وآمنوا برسالته، وهم القلة من قومه أيضاً، فمراعاة لهذا السياق

ورد التعبير القرآني هنا بالنكرة ليؤكد معنى قلة الناجين الممتثلين لأمر الله تعالى، وهم أصحاب الاذن الواعية، وعليه فهذا التنكير قد أعطى معنى آخر ألا وهو التوكيد فضلا عن التوبيخ والتقليل، أي تأكيد أنَّ اصحاب الحق هم دائما قليلون.

وانطلاقا من هذا المعنى فقد ذكرت كتب التفسير أنَّه قد روي عن النبي ﷺ أنَّه عند نزول هذه الآية قال: (سألت الله أن يجعلها أذنك يا علي، فقال علي عليه السلام: فما نسيت شيئاً بعد ذلك، وما كان لي أن أنسى)[١٣٥]. فالإمام علي عليه السلام وبلا شك إنَّه أول الوعاة لأمر الله تعالى، وأكثرهم علما وإيمانا وإدراكا به بعد الرسول ﷺ، وهؤلاء الوعاة يمثلون الفئة القلية، وبذلك فقد أكدت هذه الرواية بدورها منعى قلة الوعاة، ومعنى توبيخ من لم يَعِ ويفهم من الناس أمر الله تعالى.

المبحث الرابع

الدلالة المعجمية (الاجتماعية)

تُعرَّف الدلالة المعجمية بأنها (دلالة الكلمة التي استخدمت في المجتمع مفردة أو في تركيب سواء أكان المعنى حقيقيا في أصل الوضع، أو مجازيا منقولا عن معنى حقيقي)[١٣٦].

فكلُّ كلمةٍ من كلمات اللغة لها دلالة معجمية أو اجتماعية تستقل عما يمكن أن توحيه أصوات هذه الكلمة أو صيغتها من دلالات زائدة على تلك الدلالة الأساسية، التي يُطلق عليها الدلالة الاجتماعية، فكلمة (الكذاب) تدل على شخص يتصف بالكذب، وتلك هي دلالتها الاجتماعية، غير أنَّها اكتسبت عن طريق صيغتها قدراً آخر من الدلالة يسمى بالدلالة الصرفية، وكذلك كلمة (نضخ) فإنَّها تدل على تسرب السائل، وتلك هي دلالتها الأساسية، ولكنها في رأي اللغويين قد اكتسبت عن طريق تكونها الصوتي، وطبيعة الأصوات فيها دلالة صوتية متمثلة بالقوة والعنف في تلك الدلالة الأساسية[١٣٧].

وهناك من اللغويين من يفرق بين الدلالة المعجمية، والدلالة الاجتماعية، ذلك (أن المعاجم وإن كانت مهمتها الأساسية هي توضيح تلك الدلالات الاجتماعية، غير أنها قد تعرض لبحث مسائل من النحو والصرف)[١٣٨].

فالمعجم لا يبحث معنى الكلمة المفردة فقط، بل يذكر معناها، أو مرادفها، أو مضادها،

أو ما يفسرها، كما يقدم معلومات عنها كأصل الوضع اللغوي لها وتطورها التاريخي ومشتقاتها، وتركيبها الاصطلاحي، ويبحث كذلك في المعاني السياقية، كما ويبحث المعنى الحقيقي والمعنى المجازي لها، ويسوق لذلك شواهد توضحه(١٣٩).

ومن هنا يمكن القول: إنَّ الدلالة الاجتماعية تكون أضيق مفهوما من الدلالة المعجمية، بل هي جزء منها، ذلك أنها تقتصر على (مفهوم الكلمة المستقل عن أصواتها وبنيتها، والذي على أساسه يتم التفاهم بين أفراد المجتمع)(١٤٠). وأما الدلالة المعجمية فهي تمثِّلُ مجالا لغويا أوسع، إذ إنَّها (لا تعني دلالة كلمة مفردة فقط بل يدخل فيها كل التراكيب التي تشكل وحدة دلالية متماسكة لا تتجزأ)(١٤١).

ومن هنا نتناول الدلالة المعجمية في سورة الحاقة بالدراسة، لأنها الاشمل، ولأننا لم نتناول الدلالة الاجتماعية في السورة (دلالة مفرداتها) فقط، بل درسنا أيضاً دلالة التعبير السياقي في السورة، وهو مما ينضوي تحت الدلالة المعجمية، وكانت الدراسة كالآتي:

١ـ دلالة الكلمة المفردة:

جاء في قوله تعالى في معرض تعذيب الكافر يوم القيامة وإهانته: ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ * وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ * لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾ (الحاقة /٣٥، ٣٦، ٣٧).

أ. الحميم

لفظة (الحميم) هي كلمة عربية على وزن (فعيل) متعددة المعاني، جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس: ((حم) الحاء والميم فيه تفاوتٌ؛ لأنّه متشعب الأبواب جداً، فأحد أصوله اسوداد، والآخَر الحرارة، والثالث الدنوّ والحُضور، والرابع جنسٌ من الصوت، والخامس القَصْد)(١٤٢). ومن معانيها أيضاً (الماء الحار، والقريب)، قال ابن منظور: (الحَميمُ القريب الذي تَوَدُّه ويَوَدُّكَ، والحامَّةُ خاصةُ الرجل من أهله وولده وذي قرابته يقال هؤلاء حامَّتُه أي أَقرِباؤه..... والحَمِيمُ والحَمِيمةُ جميعاً الماء الحارّ)(١٤٣). فهذه اللفظة هي من المشترك اللفظي، إذ دلت على أكثر من معنى، ولكن معنى (القريب) من بين تلك المعاني هو المراد في هذه الآية وفق السياق القرآني، وهو ما قال به أكثر المفسرين، ومنهم الفخر الرازي بقوله: (أي ليس له في الآخرة حميم أي قريب يدفع عنه ويحزن عليه، لأنهم

يتحامون ويفرون منه كقوله: ﴿وَلَا يَسْئَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً﴾ (المعارج: ١٠) وكقوله: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ (غافر: ١٨))[١٤٤].

ب. الغسلين:

الغسلين كلمة عربية على وزن (فعلين) وضعت لمعان عدة، فهي تعني: ما يُغْسَل من الثوبِ ونحوِه، كالغُسالَة، وما يَسيلُ من جُلودِ أهلِ النارِ، والشديدُ الحَرِّ، وشَجَرٌ في النار، ويُقال: إنّه الحارُّ الشَّديد[١٤٥]. ولذلك تعددت أراء المفسرين في معناها في هذه الآية. إذ قال الفراء: (إنَّه ما يسيل من صديد أهل النار)[١٤٦]، وقيل: هو شجر يأكله أهل النار، وقيل: هو شيء يجري من أهل النار، وقيل أيضاً: أنه الدم والماء الذي يسيل من لحوم أهل النار[١٤٧].

والذي يلاحظ هنا أنَّ الغسلين وإن تعددت معانيها عند المفسرين لكن تبقى جميعها معانٍ مقبولة؛ ذلك أنَّ الغسلين هو من باب المشترك اللفظي، وإنَّ جميع تلك المعاني التي ذكرها المفسرون تدخل تحت مفهوم واحد عام هو (الشي الحار الشديد)، فهذا المعنى يصدق على كل تلك المعاني، ولذا يمكن القول: إنَّ جميع تلك المعاني هي مقبولة ومرادةٌ هنا، ولذا فإنَّ من المفسرين من ذكر تلك المعاني دون الاقتصار على احدها كابن عاشور في قوله: (والغِسلين: بكسر الغين ما يدخل في أفواه أهل النار من المواد السائلة من الأجساد وماء النار ونحو ذلك مما يعلمه الله فهو عَلَم على ذلك مثل سِجين، وسرقين، وعِرنين، فقيل إنه فِعْلِين من الغَسل لأنه سَالَ من الأبدان فكأنه غُسل عنها)[١٤٨].

فجميع ما ذكره المفسرون من معان للغسلين كالسائل الخارج من الجروح وكالدم وكالشجر وكالماء الحار وغيرها، كلها تحمل صفة الحرارة الشديدة لذلك فهي صحيحة هنا، والله أعلم، ما دام لم يحصل بينها تناقض، ولأنها من باب المشترك اللفظي، الذي يدل على تعدد المعنى للفظ الواحد.

٢ـ دلالة التعبير السياقي:

المقصود بالتعبير السياقي هو توارد كلمتين أو أكثر في سياق واحد، أو تلازم كلمتين أو أكثر ومصاحبتهما في اللغة بصورة شائعة للدلالة على معنى يفهم من تلاحم هذا التركيب ونظام بنيته[١٤٩].

واللغة العربية تحفل قديما وحديثا بالتعابير السياقية، وتزخر بها، ومعاجم العربية تشهد بذلك، فاللفظ الواحد قد يأتي في سياقات لغوية مختلفة بمعانٍ مختلفة، وقد يختلف السياق الذي يأتي فيه اللفظ وتؤدي هذه السياقات المختلفة معنى واحدا مثل الفعل (أطلق) بمعنى حرر، وقد جاء في عدد من التعابير الاصطلاحية بهذا المعنى مثل: أطلق صراحه بمعنى أخلى سبيله، واطلق له العنان بمعنى جعله يتصرف وفق إرادته، وأطلق ساقيه للريح بمعنى فرَّ مسرعا، ومثل ذلك الفعل (مال) فقد جاء في سياقات مختلفة بمعانٍ مختلفة نحو: مال الى بمعنى أحب، ومال على بمعنى ظلم، ومال عن بمعنى حاد عن[١٥٠].

ومما ورد من هذا القبيل من الألفاظ في سورة الحاقة المباركة هو لفظ (اليمين)، فقد جاء هذا اللفظ في سياقين مختلفين ولكن دلَّ في كل سياق على معنى يختلف عن الاخر تماما، إذ ورد في السياق الأول في سياق التبشير في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ﴾ الحاقة /١٩، دالاً على معنى البركة والاعتزاز بالمأخوذ، فقد جاء في تفسير التحرير والتنوير: (وإيتاء الكتاب باليمين علامة على أنه إيتاء كرامة وتبشير، والعرب يذكرون التناول باليمين كناية عن الاهتمام بالمأخوذ والاعتزاز به، قال الشاعر:

إذا مـــا رايـــةٌ رُفعـــت لمجـــدٍ تلقاهـــا عرابـــةٌ بـــاليمين[١٥١]

فالإيتاء باليمين إنَّما كان علامة على الكرامة والتبشير هنا؛ لأن هذا التعبير السياقي هو مما جرى مجرى المثل عند العرب قديماً؛ ذلك أنَّ من عادات العرب وكما نقلت كتب المعاجم، أنهم كانوا يضيفون الخير الى اليمين؛ لأنَّه مشتق من (اليُمن) أي البركة، وإنَّ جهة اليمين مؤذنة بالفوز بالمطلوب عندهم وعلى ذلك جرت عقائدهم في زجر الطير والوحش من التيمن بالسانح، وهو الوارد من جهة يمين السائر، والتشاؤم أي ترقب ورود الشر من جهة الشمال[١٥٢].

بينما ورد لفظ اليمين في سياق آخر من هذه السورة في معرض رد الشبهات ونفيها عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾ الحاقة/ ٤٤، ٤٥، ٤٦، دالاً على الإهانة والإذلال، إذ قال الطبري في تفسير هذه الآية: (إنَّ معنى قوله: ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ﴾ لأخذنا منه باليد اليمنى من يديه، قالوا: وإنَّما ذلك مثل، ومعناه: إنَّا كنا

نذله ونهينه)[١٥٣]. وقال الطوسي أيضاً: (لأخذنا بيده التي هي اليمين على وجه الإذلال، كما يقول السلطان يا غلام خذ بيده فإنه على وجه الإهانة)[١٥٤].

فإنَّ الأخذ باليمين هو كناية عن الإهانة والإذلال، وهو ما جرى مجرى الأمثال أيضاً عند العرب، إذ قيل: أنه (إذا أراد الملك إهانة شخص قال: خذه يا فلان، فيأخذه بيمينه، فهو كناية عن الإذلال، و قيل هذا تصوير قتل الصبر بأشنع صورة، فإنَّ الملك إذا أراد التخفيف على من يقتله أمر السياف فأخذ يسارهُ بيسارهِ وضرب عنقه بالسيف من وراءه؛ لأن العنق من خلف أوسع فيكون أسرع قطعا، ولا يرى المقتول لمع السيف، وإن أراد التعذيب والمبالغة في الإهانة أخذ يده اليمنى وضربه وهو مستقبلٌ له ليرى لمع السيف)[١٥٥].

فكان عدم حصول الإهانة والإذلال للنبي محمد ﷺ وحاشاه منها المتمثلة بالتعبير السياقي بـ (الاخذ باليمين)، والذي كان سائداً في فهم العرب، دلالة على تأكيد صدقه (عليه الصلاة والسلام)، وصدق رسالته السماوية ونفي التهم الباطلة عنه.

فلفظ اليمين وإن كان يعني (البركة والكرامة والخير) في التعبير السياقي الأول من هذه السورة وهي الدلالة الاصلية له، لكنه قد تغيَّرَ معناه في التعبير السياقي الثاني، وأصبح يدل على الإهانة والأخذ بقوة، وإنما حصل ذلك التغاير في المعنى؛ لأن لفظ اليمين قد اقترن بفعلين مختلفين، قد خصصهما العرب له، فعندما يريدون التعبير عن التبرك والاعتزاز بالمُكَرم فإنَّهم يقرنون لفظ اليمين بفعل الإيتاء أو العطاء فيقولن: (آته أو اعطه بيمينه)، وعندما يريدون إهانة المسيء وإذلاله فإنهم يقولون (خذ بيمينه)، فيقرنونه بفعل الأخذ، فلذلك قد خصَّ كل تعبير بمعنى مستقل عن الآخر، ومختلف عنه دلالةً، فالدلالة القرآنية للتعبير السياقي هنا إذن متأتية من اقتران الاسم (يمين) بكلا هذين الفعلين.

الخاتمة:

من خلال الولوج في مضمار دراسة هذا النص القرآني الشريف تبينت لنا النتائج الآتية:

١- اتضح من خلال التحليل المقطعي لفواصل السورة أنَّ هناك توافقاً وانسجاماً في تشكيلها المقطعي، إذ كانت أغلب مقاطع تلك الفواصل هي مقاطع طويلة سواء

أكانت مفتوحة أم مغلقة، أما المقطع القصير فلم يرد إلا قليلا، وإنَّ سر تشكيل تلك الفواصل من مقاطع طويلة هو أن المقطع الطويل يكون أكثر تأثيرا في المتلقي. كما قد تبين أنَّ التغييرات الموقعية الناتجة من خلال التبادل بين المقاطع الصوتية الثلاثة (ص ح، ص ح ح، ص ح ص) في فواصل السورة قد أحدثت بدورها تنويعات موسيقية أكسبت النص جمالية رائعة في الايقاع، وإنَّ التوظيف الرائع لهذه التنويعات الموسيقية هو سر الإعجاز الصوتي الرامي لجذب انتباه القارئ والسامع الى التدبر في مضمون ومحتوى هذا الكتاب الجليل.

٢- كشفت الدراسة أنَّ اسلوب التنغيم قد توظف في بعض المواضع ليوحي بمعنى العظمة والإجلال، كما قد أفاد في التمييز بين اسلوبي الاستفهام، والإخبار في قوله تعالى: (ما أغنى عني ماليه) الآية ٢٨، وذلك من خلال التغيير في درجة التنغيم عن طريق الصعود أو الهبوط في الأداء النطقي.

٣- اتضح أن سورة الحاقة قد وُظفت فيها أبنية صرفية خاصة اسهمت في إثراء النص القرآني بفيض إشعاعاتها الدلالية الرائعة، حيث نجد مثلا توافر بعض أبنية الاسماء كاستعمال المصدر واسم الفاعل، فإن هذه الاسماء بدورها أفادت ثبوتية، ودوام المعنى لتلك الأبنية في هذه السورة وهذا ما تقتضيه الرؤية اللغوية للنص، كما قد اتضح لنا في هذه السورة كذلك كثرة توارد صيغ الأفعال المزيدة وغلبتها على الأفعال المجردة، وإن سبب ذلك وكما هو متعارف، هو أنَّ الأبنية المزيدة أو الطويلة تمتلك تأثيراً في نفس المتلقي أكثر من الأبنية المجردة، وهذا ما جعلها تتناسب ومعاني الفزع والهول والرهبة المتضمنة في السورة المباركة.

٤- تلمسنا من خلال دراسة المستوى النحوي أن سورة الحاقة قد توافرت فيها جملة من التراكيب النحوية التي تميزت بدقة الاستعمال منها (التقديم والتأخير، والحذف والذكر، والتعريف والتنكير)، وقد كان توارد مثل هذه التراكيب النحوية هو لتعزيز انسجام واتساق العلاقات النحوية بين المفردات والجمل من جهة، ولإثراء النص القرآني بشحنات دلالية عديدة؛ وذلك كون هذه الأساليب تمتاز بتغير معانيها من خلال التلاعب بمفرداتها، وذلك نجدها هنا قد خرجت لمعان مختلفة بحسب ما

تطلبته السياقات اللغوية في السورة. كما قد تبين لنا أن اسلوب التوكيد كان له وقع خاص في السورة، حيث نجد أنه قد اُستعمل حرفي التوكيد (إنَّ واللام) في أربعة مواضع متكررة، جميعها كانت في نهاية السورة، وسرٌ ذلك هو أن هذين الحرفين هما من أهم حروف التوكيد، ومجيئهما معا بهذه الصورة الفنية الرائعة كان بمثابة خاتمة توكيدية لأحقية القرآن وصدق الرسالة المحمدية أولا، و لما تضمنته السورة من أخبار غيبية، وقصص الأمم الغابرة ثانيا.

٥- في المبحث الاخير مبحث(الدلالة المعجمية) لاحظنا مجيء ألفاظ معجمية غريبة قد اختلف المفسرون في بيان معانيها كلفظي (الحميم، والغسلين)، ولكن عند التقصي عنهما في بطون المعجمات والتفاسير اتضح أنَّ جميع تلك المعاني تكون مقبولة ومناسبة لسياق السورة، وذلك كون هذين اللفظين يمثلان مشتركاً لفظياً، والمعروف أنَّ معاني المشترك اللفظي العديدة تكون أحياناً متقاربة في مفهومها، كونها ترجع الى معنى عام تستظل تحته ما دام لم يحصل بنها تعارض أو تقاطع معنوي، كما تبين في السورة استعمال بعض التعابير السياقية التي جرت مجرى الأمثال عند العرب، كلفظ (اليمين) الذي استعمل في تعبيرين سياقيين مختلفين، دلَّ في الأول على معنى معجمي وهو التيمن والبركة، فيما أشار في الثاني الى معنى كنائي ليدل على الإهانة والإذلال.

Abstrcat

This research aims to study Surat Al-Haka indicatively , in order to detect signs of the linguistic construction within them, so what it was characterized by this Surah blessed in splendor add to their wording and meaning, the beauty of its voices and rhythm, and in accurate and methods of resolution, like the rest of the Koranic surates which is alone wondrous systems mingled in which all the elements of language mixed foretell about the power of miracles, the secret of the statement, the eloquence of the tongue, and the greatness of the man who said.

Therefore, it was clear from this study that there is a tag with a significant impact values has been formed by a group of language elements

of Al (sonic, morphological, and syntactic, and semantic), has uncovered unveiled by hiring approach linguistic analysis of the text, and to dismantle the elements preliminary.

The indictive Acoustic may have seen its presence in several audio phenomena, it was the most prominent of the diversity denote spacers Quranic Surah, which suggest installed tomography to the severity of the matter and its greatness, which also employ toning which is inherently essence may meaning of sentences (Question and predicate), such as voice to give the impression of meaning (voice of proportionality), especially in the articulation (Sarsar, and split) and two depict the great events in this Surah.The significance of morphological was concentrated in two important aspects: first the significance of names, especially the actor's name, and the source, while the second in a sign deeds of whipped, and that may be employed here to increase the effect by virtue of increasing its building, making it fit and the Sura faces in general , while the exposed radiation significance grammatical through our study of the most important of moral values aesthetic converging in Sura compositional patterns, as a sign deletions and mention , presentation and delays, the definition and saying that the indefinite, the style accent, then the search is over studying the significance of lexical two branches indication vocabulary, the significance of the expression contextual Quranic, that artistic expression is strange, which identifies significantly achieved through language accompanying the words of the sura, At the conclusion of this research study concluded the most important findings from this study statement.

هوامش البحث

(١) ينظر: الكشاف: للزمخشري ٦/ ١٩٤، وينظر: البحر المحيط: لأبي حيان الأندلسي ٣١٥/٨.

(٢) ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: الفيروز آبادي ٤٧٨/١.

(٣) ينظر: البرهان في تناسب سور القرآن: للإمام أحمد بن إبراهيم الثقفي: ١٩٤.

(٤) ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: الفيروز آبادي ٤٧٨/١، وينظر: التحرير والتنوير: للطاهر بن عاشور: ١١١/٢٩.

(٥) يُنظر: دلالة الألفاظ: د. إبراهيم أنيس ٤٦.

(٦) التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة: د. محمود عكاشة ١٧ – ١٨.
(٧) فقه اللغة العربية وخصائصها: د. محمد مبارك ٢٦٣.
(٨) الصوت اللغوي في القرآن الكريم: د. محمد حسين الصغير ١٦٤.
(٩) ينظر: المصدر نفسه: ١٦٤.
(١٠) ينظر: لسان العرب : ابن منظور، ١٤٥/١٠ (قطع).
(١١) دراسة الصوت اللغوي: د. أحمد مختار عمر: ٢٤١.
(١٢) التطور اللغوي: د. رمضان عبد التواب: ٦٢.
(١٣) المنهج الصوتي في البنية العربية: د. عبد الصبور شاهين: ٣٨.
(١٤) أبحاث في أصوات العربية: د. حسام سعيد النعيمي ٨.
(١٥) ينظر: دروس في علم أصوات العربية: جان كانتنيو ١٦٠، ودراسة الصوت اللغوي ٢٤٨، الأصوات اللغوية ١٦٠.
(١٦) في ظلال القرآن: سيد قطب ٣٦٧٤/٦.
(١٧) المصدر نفسه ٣٦٧٤/٦.
(١٨) التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة: د. محمد عكاشة: ٤٢.
(١٩) ينظر: لسان العرب (نغم): ١٤/ ٢٢.
(٢٠) علم اللغة: (السعران): ١٩٢.
(٢١) يُنظر: الأصوات اللغوية: د. ابراهيم انيس:١٦٣.
(٢٢) علم الأصوات: د. كمال بشر: ٥٣٣.
(٢٣) يُنظر: الدلالة اللغوية عند العرب: د. عبد الكريم مجاهد ١٧٨.
(٢٤) يُنظر: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: ١٠٦، ويُنظر: الدلالة اللغوية عند العرب: ١٨٧.
(٢٥) يُنظر: اللغة العربية معناها ومبناها: د. تمام حسان: ٢٢٨.
(٢٦) التنغيم ودوره في التحليل اللغوي: عبد الحميد السيد: ٧٧ ـ ٧٨. (بحث).
(٢٧) ينظر: التنغيم اللغوي في القرآن الكريم: سمير ابراهيم العزاوي: ١٥٧.
(٢٨) البحر المحيط: لأبي حيان الاندلسي ٣١٥/٨.
(٢٩) دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني: ١٤، وينظر: نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز: محمد بن عمر الرازي ١٥٨.
(٣٠) الطراز: للعلوي: ٣ /٢٨٦.
(٣١) التشكيل الصوتي في اللغة العربية: د. سلمان العاني ١٤٤.
(٣٢) ينظر: البحث الدلالي في ارشاد العقل السليم: د. زينب عبد الحسين بلال، رسالة دكتوراه ٤٣.
(٣٣) في ظلال القرآن ٦ / ٣٦٧٤.
(٣٤) الخصائص: لابن جني: ٥٤/٣.

(٣٥) فتح القدير: محمد بن علي الشوكاني ٢٧٩/٥.
(٣٦) البحر المحيط ٣١٩/٨.
(٣٧) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لابن عطية الاندلسي ٥/ ٣٦٠.
(٣٨) كتاب العين: للخليل بن أحمد الفراهيدي: ٧/ ٨١ ـ ٨٢.
(٣٩) الكتاب: لسيبويه: ١٤/٤.
(٤٠) الخصائص: ١٥٩/٢ ـ ١٦٠.
(٤١) التصوير الفني في القرآن: سيد قطب ٣٦.
(٤٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: البقاعي ٣٤٣/٢.
(٤٣) التحرير والتنوير ١١٦/٢٩.
(٤٤) ينظر في ذلك: التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة: ٤٢.
(٤٥) ينظر: أبنية الافعال ـ دراسة لغوية قرآنية: د. نجاة عبد العظيم: ٦٠.
(٤٦) ينظر: أبنية الصرف في كتاب سيبويه: د. خديجة الحديثي: ٢٧٨.
(٤٧) ينظر: أبنية الافعال: ٦٠.
(٤٨) التحرير والتنوير ١٢٦/٢٩.
(٤٩) ينظر: المصطلح الصوتي: د. عبد العزيز الصيغ ١٨٠.
(٥٠) أبنية الافعال: ٦١.
(٥١) المصدر نفسه: ٦٣.
(٥٢) القاموس المحيط: الفيروز آبادي ١٦٧/٣ (صرف)، وينظر: لسان العرب ٩/ ١٨٩ (صرف).
(٥٣) ينظر: شرح شافية ابن الحاجب: ٧/١.
(٥٤) ينظر: الدراسات اللغوية عند العرب الى نهاية القرن الثالث الهجري: د. محمد حسين ال ياسين ٤٣٧.
(٥٥) المنصف: لابن جني: ٢/١.
(٥٦) يُنظر: دلالة الألفاظ: د. ابراهيم أنيس ٤٧، وعلم الدلالة: د. أحمد مختار عمر ١٣.
(٥٧) ينظر: معاني الابنية في العربية: د. فاضل صالح السامرائي ٩، وينظر: التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة ٦٣.
(٥٨) دلائل الإعجاز: ١٣٤.
(٥٩) ينظر: معاني الابنية في العربية ٩.
(٦٠) الكافية في النحو: ابن الحاجب ٧٤، وينظر: شذا العرف في فن الصرف: أحمد الحملاوي ٣٢.
(٦١) ينظر: شرح التصريح على التوضيح: خالد الازهري ٢/ ٦٥.
(٦٢) ينظر: الكافية في النحو ٧٤، وشرح ابن عقيل: ابن عقيل الانصاري ١٣٤/٣.
(٦٣) ينظر معاني الابنية في العربية، صفحة ٥٠ وما بعدها.
(٦٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٢٠/ ٣٦٢.

(٦٥) التحرير والتنوير ١٣٢/٢٩.
(٦٦) ينظر: معاني الابنية في العربية ١١٩.
(٦٧) شرح التصريح على التوضيح:٢٨٨/٢.
(٦٨) الخصائص ١٠٢/٢.
(٦٩) مفاتيح الغيب ١٠٣/٣٠.
(٧٠) روح المعاني ٤٠/٢٩.
(٧١) معاني الابنية ١٢٢ ـ ١٢٣.
(٧٢) الكتاب: لسيبويه ٣/ ٣٨٢.
(٧٣) ينظر: الأصول في النحو: لابن السراج ٨٣/٣.
(٧٤) الكشاف ١٥٣/٤.
(٧٥) الصرف الوافي دراسة وصفية تطبيقية: د. هادي نهر ٦٣.
(٧٦) ينظر: الانصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين: لأبي البركات ابن الانباري ٢٣٥/١.
(٧٧) ينظر: المهذب في علم التصريف: د. صلاح مهدي الفرطوسي، و د. هاشم طه شلاش ٢٠٩ـ ٢١٠.
(٧٨) التحرير والتنوير ١٤٩/٢٩.
(٧٩) معاني الابنية ٣٩.
(٨٠) التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة ٧٠.
(٨١) لقد ذهب النحاة الكوفيون الى أن الفعل الدائم هو القسم الثالث وليس فعل الامر، لأنه في أصله فعل مضارع، ينظر: المدارس النحوية: د. خديجة الحديثي ٩٨.
(٨٢) ينظر: الممتع في التصريف: لابن عصفور الاشبيلي ١/ ١٦٦.
(٨٣) ينظر ك التصريف الملوكي: لابن جني ٥، والمنصف: ١/ ٩٨، وشرح الشافية ٣٣١/٢.
(٨٤) ينظر التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة ٩٦.
(٨٥) ينظر: الخصائص: ٣/ ٢٦٤.
(٨٦) ينظر: أوزان الفعل ومعانيها: د. هاشم طه شلاش ٧٤ ـ ٨٣.
(٨٧) الكتاب ٦٥/٤.
(٨٨) ينظر: أوزان الفعل ومعانيها: ٩٤ ـ ١٠٠، وينظر: المهذب في علم التصريف ٨٢ – ٨٣.
(٨٩) (التكلف) كما عرّفه الصرفيون هو حمل النفس على أمر فيه مشقة ومعاناة، ينظر في ذلك المهذب في علم التصريف:٨٢.
(٩٠) التبيان في تفسير القرآن: للشيخ ابي جعفر الطوسي ١١٠/٢٩.
(٩١) مفاتيح الغيب ١١٨/٣٠.
(٩٢) ينظر: شرح ابن عقيل ٣٨/٤.

(٩٣) نظم الدرر ٢٠/ ٣٨٢.
(٩٤) المصدر نفسه ٣٧٨/٢٠.
(٩٥) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني: د. فاضل صالح السامرائي ٩.
(٩٦) ينظر: نظرية المعنى في الدراسات النحوية: د. كريم حسين ناصح: ١١.
(٩٧) الدلالة اللغوية عند العرب: ١٩٤، ويُنظر: التطور الدلالي بين لغة الشعر و لغة القرآن الكريم: د. عودة أبو خليل عوده: ٢٧٦.
(٩٨) الاصول في النحو: ٢٥٤/٢.
(٩٩) الخصائص ٣٦٠/٢.
(١٠٠) ينظر: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي: د. طاهر سليمان حمودة ٩٩ وما بعدها.
(١٠١) ينظر فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم: د. فتحي أحمد عامر ١٨٨.
(١٠٢) التحرير والتنوير ١٢٣/٢٩.
(١٠٣) الميزان في تفسير القرآن: السيد محمد حسين الطبطبائي ٤٠٩/٢٩.
(١٠٤) ينظر: مفاتيح الغيب ١٠٣/٣٠.
(١٠٥) ينظر: التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة ١٤٥.
(١٠٦) دلائل الإعجاز ٣١.
(١٠٧) التعبير القرآني ٥٣.
(١٠٨) التحرير والتنوير ١٣٨/٢٩.
(١٠٩) ينظر: الكامل في التاريخ: لابن الأثير ٦٨.
(١١٠) التحرير والتنوير ٢٩ / ١١٦.
(١١١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: للسيد مكارم الشيرازي ٥٧٠/١٨.
(١١٢) ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم: لابي السعود ٣٨٥/٥.
(١١٣) الكشاف ٢٠١/٦.
(١١٤) البناء الصوتي في البيان القرآني: د محمد حسن شرشر ٤٥.
(١١٥) ينظر: معاني النحو ٩١/٣.
(١١٦) ينظر: نظرية المعنى في الدراسات النحوية.
(١١٧) شرح المفصل ٥٣٤/٤.
(١١٨) شرح ألفية ابن مالك: لابن الناظم ٦٥.
(١١٩) ينظر معاني النحو: ١/ ٢٩٠.
(١٢٠) شرح المفصل ٦٣/٤، وينظر: شرح الرضي على الكافية ٣٩٣/٢.
(١٢١) التحرير والتنوير ١٤١/٢٩.
(١٢٢) ينظر كتاب سيبويه ١٢١/٣.

(١٢٣) دلائل الإعجاز ٢٢٥.
(١٢٤) ينظر: شرح جمل الزجاجي : لابن عصفور ٢٢٨/١.
(١٢٥) شرح ابن عقيل ٥١/٢.
(١٢٦) شرح الرضي على الكافية ٣٣١/١.
(١٢٧) شرح جمل الزجاجي ١٤٣/١.
(١٢٨) نظم الدرر ٣٥٣/٢٠.
(١٢٩) القاموس المحيط ١٨٠/٣.
(١٣٠) البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن: ابن الزملكاني ١٣٣.
(١٣١) ينظر التعريف والتنكير في النحو العربي: أحمد عفيفي ١٩.
(١٣٢) البلاغة والاسلوب: د. محمد عبد المطلب ٢٦٠.
(١٣٣) مفاتيح الغيب ٣٠/ ١٠٧.
(١٣٤) ارشاد العقل السليم ٣٨٣/٥.
(١٣٥) التبيان في تفسير القرآن ٩٨/٢٩.
(١٣٦) التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة ١٥٧.
(١٣٧) ينظر: دلالة الالفاظ ٤٨.
(١٣٨) ينظر: المصدر نفسه ٥٠.
(١٣٩) التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة ١٥٧.
(١٤٠) دلالة الالفاظ ٢٥٩.
(١٤١) التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة ١٥٧.
(١٤٢) مقاييس اللغة ٢٣/٢.
(١٤٣) لسان العرب ١٢/ ١٥٣.
(١٤٤) مفاتيح الغيب ١٦/٣٠.
(١٤٥) ينظر: لسان العرب ٤٩٥/١١.
(١٤٦) معاني القرآن: للفراء ١٨٣/٣.
(١٤٧) ينظر تفسير القرطبي ١٠٦/١٠، وينظر الاتقان في علوم القرآن السيوطي ٢/ ٦٢٠.
(١٤٨) التحرير والتنوير ١٤٠/٢٩.
(١٤٩) التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة ١٨٧.
(١٥٠) ينظر: المصدر نفسه ١٨٧.
(١٥١) التحرير والتنوير ١٣٠/٢٩.
(١٥٢) ينظر: لسان العرب ٤٥٨/١٣، وما بعدها.
(١٥٣) جامع البيان في تأويل القرآن ٥٩٣/٢٣.

(١٥٤) التبيان في تفسير القرآن ١١٠/٢٩.
(١٥٥) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٣٨٠/٢٠.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

- أبحاث في أصوات العربية: د. حسام سعيد النعيمي، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد - العراق ١٩٩٨م.
- أبنية الأفعال - دراسة لغوية قرآنية: د. نجاة عبد العظيم الكوفي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٤١٠-١٩٨٩م. د.ط.
- أبنية الصرف في كتاب سيبويه: د. خديجة الحديثي، معجم ودراسة، مكتبة لبنان، ناشرون، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٣م.
- الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١ ـ، مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني، مصر، ١٣٨٧- ١٩٦٧م.
- إرشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود محمد بن محمد العمادي (ت٩٨٢هـ)، ط٤، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- الأصوات اللغوية: د. إبراهيم أنيس (د. ط) مكتبة الانجلو المصرية، ٢٠٠٧م.
- الأصول في النحو: ابن السراج أبو بكر بن محمد بن سهيل البغدادي (ت٣١٦هـ)، تحقيق: د. عبد الحسين الفتلي، مطبعة النعمان، النجف الاشرف، ١٩٧٣م.
- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: للشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ط١، مطبعة أمير المؤمنين عليه السلام قم ـ إيران ١٤٢١هـ.
- الانصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين: لأبي البركات كمال الدين الانباري (ت٥٧٧هـ) تقديم: حسن حمد ط١، دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٩٨م.
- أوزان الفعل ومعانيها: د. هاشم طه شلاش، مطبعة الآداب - النجف الاشرف ١٩٧١م.
- البحر المحيط في التفسير: محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، ط ٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

- البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن: كمال الدين عبد الواحد الزملكاني (ت٦٥١هـ)، تحقيق: د. خديجة الحديثي ود. أحمد مطلوب، ط١، مطبعة العاني، بغداد ١٩٧٤م.
- البرهان في تناسب سور القرآن: للإمام أحمد بن ابراهيم الثقفي (ت٧٠٨هـ)، تحقيق د. سعيد جمعة، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٨هـ.
- بصائر ذوي التميز في لطائف الكتاب العزيز: محمد الدين النجار، والأستاذ عبد العليم الطحاوي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٣٩٣هـ- ١٩٧٣م.
- بلاغة الكلمة في التعبير القرآني: د. فاضل صالح السامرائي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٧م، د. ط.
- البلاغة والاسلوبية: د. محمد عبد المطلب، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ مصر ١٩٨٤م.
- البناء الصوتي في البنيان القرآني: د محمد حسن شرشر، دار الطباعة المحمدية ـ القاهرة، ط١، ١٩٨٨م.
- التبيان في تفسير القرآن: الشيخ ابو جعفر محمد بن حسن الطوسي (ت٤٦٠هـ) تحقيق: أحمد حبيب القصير، دار إحياء التراث العربي
- التحرير والتنوير: الإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور (١٣٩٣هـ)،(د.ط) دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس ١٩٨٤م.
- التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة (دراسة في الدلالة الصوتية، والصرفية، والنحوية، والمعجمية): د. محمود عكاشة، ط١، دار النشر للجامعات، مصر ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.
- التشكيل الصوتي في اللغة العربية: د. سلمان العاني ـ ترجمة: د. ياسر الملاح،ط١، جدة ١٩٨٣م.
- التصريف الملوكي: لابي الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ)، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، ط١، ١٩٩٨م.
- التصوير الفني في القرآن: سيد قطب، دار الشروق ـ القاهرة، الطبعة الشريعة السابعة عشرة ٢٠٠٤م.
- التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن الكريم – دراسة دلالية مقارنة: د.عوده أبو خليل عوده، ط١، مكتبة المنار، الأردن، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.
- التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه: د. رمضان عبد التواب،ط٢، مطبعة المدني، ١٩٩٠م.
- التعبير القرآني: د. فاضل صالح السامرائي، ط٥، دار عمار، الأردن، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م.
- التعريف والتنكير في النحو العربي: د. أحمد عفيفي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة (د.ت).

- التنغيم اللغوي في القرآن الكريم: سمير ابراهيم العزاوي،ط١، دار الضياء للنشر والتوزيع - عمان ٢٠٠٠م.
- جامع البيان في تأويل آي القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت٦٧١هـ)، تحقيق: سالم مصطفى البدري، د١، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.
- الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني(ت٣٩٢هـ)، تحقيق، محمد علي النجار، ط٢، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ٢٠١٠م.
- الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث الهجري: د. محمد حسين آل ياسين، ط١، مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٨١م.
- دراسة الصوت اللغوي: د. أحمد مختار عمر، ط١،عالم الكتب ـ القاهرة ١٩٧٦م.
- دروس في علم اصوات العربية: جان كانتينو، ترجمة الاستاذ صالح القرمادي، نشريات الجامعة التونسية ١٩٦٦ م.
- دلالة الألفاظ، د. إبراهيم أنيس، ط١، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٦٣م.
- الدلالة اللغوية عند العرب: د. عبد الكريم المجاهد، (د.ط)، دار الضياء للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٨٥م.
- دلائل الإعجاز: الشيخ أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي (ت٤٧١هـ)، تحقيق: محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
- روح المعاني: في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: أبو الفضل شهاب الدين محمود الالوسي (ت١٢٧٠هـ)، تصحيح: محمد حسين العربي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.
- شذا العرف في فن الصرف: الشيخ أحمد الحملاوي، ط١٦، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٩٦٥م.
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: بهاء الدين عبد الله ابن عقيل العقيلي الهمداني المصري (ت٧٦٩هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الطلائع للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، ١٣٣٦هـ - ٢٠٠٤ م، د.ط.
- شرح التصريح على التوضيح: الشيخ خالد بن عبد اللّه الازهري (ت٩٠٥هـ) - ط١، مطبعة الاستقامة، دار إحياء التراث الكتب العربية، مصر، ١٩٥٤ م.

- شرح الرضي على الكافية: رضى الدين الاسترآباذي (ت٦٨٦هـ)، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، مؤسسة الصادق، طهران، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
- شرح ألفية ابن مالك: ابو عبد الله محمد ابن الامام محمد بن مالك (ت٦٨٦هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط١، دار الكتب العلمية ٢٠٠٠م.
- شرح المفصل: الشيخ موفق الدين بن علي بن يعيش النحوي (ت٦٤٣هـ)، تحقيق وشرح: أحمد السيد أحمد، مراجعة: إسماعيل عبد الجواد عبد الغني، المكتبة التوفيقية، مصر (د.ت).
- شرح جمل الزجاجي: ابن عصفور الاشبيلي (ت٦٦٩هـ) تحقيق، د. أنيس بديوي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- شرح شافية ابن الحاجب: الشيخ رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي النحوي (ت٦٨٨هـ)، تحقيق وضبط وشرح: محمد نور الحسن، ومحمد الزخزاف، ومحمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، منشورات: محمد علي بيضون، بيروت (د. ط)
- الصرف الوافي دراسات وصفية تطبيقية: د. هادي نهر، ط١، عالم الكتب الحديث، الاربد - الاردن ٢٠١٠م.
- الصوت اللغوي في القرآن الكريم: د. محمد حسين علي الصغير، ط١، دار المؤرخ العربي ـ بيروت ـ لبنان ٢٠٠٠م.
- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: السيد يحيى بن حمزة العلوي (ت٧٤٥هـ) مراجعة وتدقيق محمد عبد السلام شاهين،ط١، دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٩٥م.
- ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي: د. طاهر سليمان حموده، الدار الجامعية للطباعة والنشر، مصر، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢ م.
- علم الأصوات: د. كمال بشير، (د.ط)، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٠م.
- علم الدلالة: د. أحمد مختار عمر، ط١، مكتبة دار العروبة للنشر - الكويت ١٩٨٢م.
- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، د. محمود السعران، دار المعارف، مصر، ١٩٦٢م.
- العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، و د. إبراهيم السامرائي، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨١م.
- فتح القدير الجامع بين فنّي الرّواية والدّراية من علم التفسير: محمد بن علي الشوكاني (ت١٢٥٠هـ)، عالم الكتب، بيروت، د.ط.

- فقه اللغة وخصائص العربية: محمد المبارك، ط٢، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - دمشق ١٩٦٤م.
- فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم: د. فتحي أحمد عامر ١٨٨.
- في ظلال القرآن: سيد قطب، ط١١، دار الشروق - بيروت ١٤٠٥هـ.
- القاموس المحيط: محمد الدين بن يعقوب الفيروز آبادي (ت٨١٧هـ)، دار الجيل، المؤسسة العربية للطباعة، بيروت (د. ت).
- الكافية في النحو: جمال الدين أبو عمرو عثمان بن عمر بن الحاجب (ت٦٤٦هـ)، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٩ م.
- الكامل في التاريخ: العلامة ابو الكرم محمد بن محمد المعروف بابن الأثير ٦٨ (ت٦٣٠هـ) تحقيق: ابي الفداء عبد الله القاضي، ط١، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ١٩٨٧م.
- الكتاب: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت١٨٠هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط١، دار الجبل، بيروت.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل: محمد بن عمر الزمخشري ()، تحقيق: عبد الرزاق المهدي،ط٢، دار إحياء التراث العربي - بيروت ٢٠٠١م.
- لسان العرب: ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت٧١١هـ)، (د.ط)، دار صادر، بيروت، ١٩٥٦م.
- اللغة العربية معناها ومبناها د. تمام حسان، ط٥، عالم الكتب، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي (ت٥٤١هـ)، ط١، دار أبن حزم، بيروت، ٢٠٠٢م.
- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: د. رمضان عبد التواب، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- المصطلح الصوتي في الدراسات العربية: د. عبد العزيز الصيغ دار الفكر ـ دمشق ١٩٩٨م.
- معاني الأبنية في العربية: د. فاضل صالح السامرائي، ط١، جامعة الكويت، الكويت، ١٩٨١م.
- معاني القرآن: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله الفراء (ت٢٠٧هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.
- معاني النحو: د. فاضل صالح السامرائي، ط٢، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

- معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، د. ط، الدار الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- التفسير الكبير ، أو مفاتيح الغيب: فخر الدين محمد بن عمر التميمي البكري (ت٦٠٤هـ)، ط١، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.
- الممتع في التصريف: ابن عصفور الاشبلي (ت٦٦٩هـ)، تحقيق د. فخر الدين قباوه، ط٥، دار الأفاق الجديدة، بيروت ١٩٨٣م.
- المنصف: شرح لكتاب التعريف لابي عثمان المازني: ابن جني، تحقيق: إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، ط١، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ١٣٧٣هـ- ١٩٤٥م.
- المنهج الصوتي للبنية العربية - قراءة جديدة: د. عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- المهذب في علم التصريف: د. صلاح مهدي الفرطوسي، و د. هاشم طه شلاش، ط١، مطابع بيروت الحديثة ـ بيروت ـ لبنان ٢٠١١م.
- الميزان في تفسير القرآن: السيد محمد حسين الطباطبائي، ط٣، منشورات مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
- نظرية المعنى في الدراسات النحوية: د. كريم حسين ناصح الخالدي، ط١، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت٨٨٥هـ)، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، ط٢، محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- نهاية الايجاز في دراية الإعجاز: الامام فخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت٦٠٦هـ)، تحقيق: د. نصر الله حاجي مفتي، ط١ـ دار صادر،ـ بيروت، ٢٠٠٤م.

الرسائل الجامعية:

- البحث الدلالي في إرشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود (ت٩٨٢هـ)، أطروحة دكتوراه: زينب عبد الحسين بلال السلطاني، كلية التربية للبنات / جامعة بغداد.